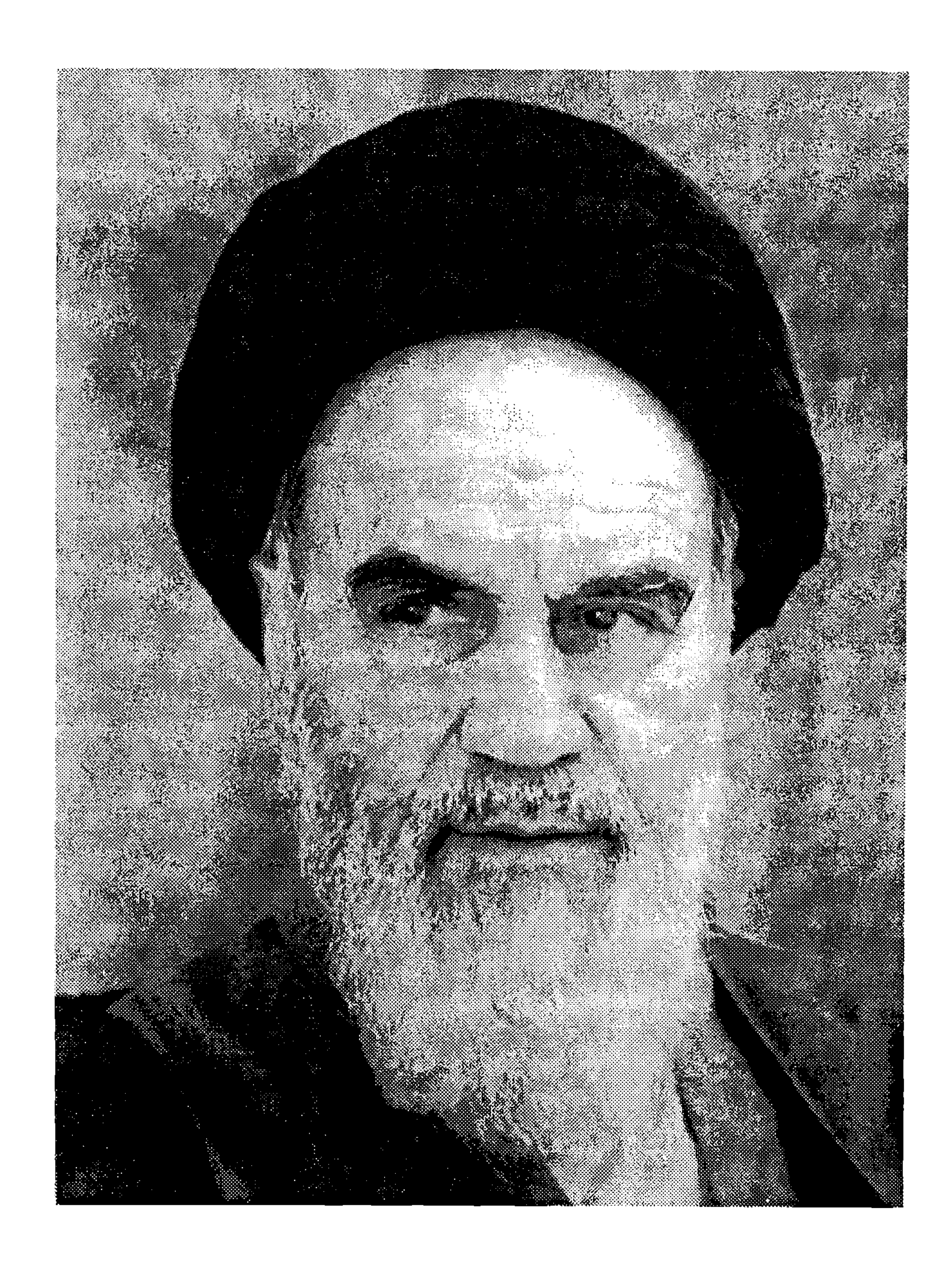
السيرة النبوية

من وجهة نظر الامام الخميني (رض)




بسم الله الرحمن الرحيم



السيرة النبوية

من وجهة نظر الامام الخميني(رض)

تأليف: مصطفى دلشاد طهراني
ترجمة: أحمد ترجمان

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني(رض)
الشؤون الدولية



قسم الشؤون الدولية

الكتاب: السيرة النبوية من وجهة نظر الامام الخميني(رض)

الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ـ الشؤون الدولية

تأليف: مصطفى دلشاد طهراني

ترجمة: احمد ترجمان

الطبعة: الاولى، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة

السعر: ٦٥٠٠ ريال

العنوان: ايران ـ طهران ـ شارع باهنر ـ شارع ياسر ـ زقاق سوده ـ رقم ٥

الرمز البريدي: ١٩٧٧٦/ ص . ب: ٦١٤-١٩٥٧٥

الهاتف: ٥ - ٢٢٢٩٠١٩١ ٢١ و ٢٢٢٨٣١٣٨ ٢١ ٩٨ ++

الفاكس: ٢٢٨٣٤٠٧٢ ٢١ ٩٨ ++

البريد الالكتروني: international-dept@imam-khomeini.ir

معنى السيرة ومفهومها

السيرة اسم مصدريّ من «السير»، جُذورها تدل على المرور والجريان والحركة،[1] وبمعنى الذهاب والسير في الأرض،[2] الراغب الاصفهاني يقول: المضي في الأرض.[3]

والسير يدل على الحركة في الليل والنهار، بينما «السُرى» يدلّ على الحركة ليلاً[4]، كما وردت في أول آية من سورة «الإسراء» بهذا المعنى.

والسيرة هي الحالة التي يمتلكها الإنسان، مَشيه وسلوكه، السيرة على وزن «فِعلَة» كـ «الفطرة» وهي على هذا الوزن تدل على نوعية العمل.[5]

«الجَلسَة» تعنى الجلوس والقعود و«الجلسَة» تعني نوع الجلوس والقعود. و«السيرة» هي نوع الحركة،[6] لذا قال أرباب اللغة في شرحها: السيرة هي الطريقة والهيئة والحال[7]. و كذا قالوا: انها السنة والمذهب والطريقة والسلوك. ولذا عبروا عن سيرة الفرد بصحيفة أعماله وكيفية سلوكه بين الناس[8].

والراغب الاصفهاني يقول: السيرة هي الحالة والطريقة التي يبنى عليها أساس الانسان وغير الانسان ووجودهما سواء كانت غريزية أو اكتسابية. كما يقال أن فلاناً له سيرة جيدة أو غير جيدة[9].

وبالنظر الى ما قاله اللغويون من أن «السيرة» تعني السنة، الطريقة، المذهب، الهيئة والحالة، يمكن ان يكون معنى السيرة نوع السلوك وكيفية السلوك واسلوب الحياة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ج٣ ص١٢٠.
(٢) لسان العرب ج٦ ص٤٥٣.
(٣) المفردات ص٤٣٢.
(٤) كتاب العين ج٧ ص٢٩١ — ادب الكاتب ص٢٣١ — لسان العرب ج٦ ص٤٥٤.
(٥) الفية ابن مالك ص٤١.
(٦) لسان العرب ج٦ ص٤٥٤ — تاج العروس ج٣ ص٢٨٧.
(٧) معجم مقاييس اللغة ج٣ ص١٢١.
(٨) اساس البلاغة ص ٢٢٦ — اقرب الموارد ج١ ص٥٦٢ — المنجد ص ٣٦٨.
(٩) المفردات ص٢٤٧.

عِلم السيرة

علم السيرة يعني معرفة السلوك، والواقع هو معرفة الاساليب والاصول التي يتخذها الانسان.

وعلم السيرة في الحقيقة هو معرفة الاساليب[1] وبالنسبة لرسول الله(ص) بمعنى ان كان له في أدوار الحياة المختلفة أسس وقواعد ثابتة وواضحة وقابلة للمتابعة.

ان سيرة النبي افضل السير للمتابعة والتمسك بالحياة الصالحة في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى شانه:

«لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً»[2].

بمعنى أن سيرة الرسول الاعظم هي مصدر ودليل للمسلمين ليتمكنوا عَرْوَ افكارهم واعمالهم اليه[3]، كي يطابقوا افعالهم في جميع الامور معه صلى الله عليه وآله وهذا أمر ثابت ودائمي وان احد احكام رسالته وايمان المسلمين التاسي بافعاله واقواله[4].

وبهذه الطريقة مع عرض كل ما يفعله في جميع الامور يؤمر المسلمون بالاقتداء به والذي يضع قدمه على أثره يكون أحب العباد الى الله تعالى وهذا نفس كلام الله حيث يقول:

«وقل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»[5].

وبالتاسي بهذه الأسوة الكاملة، يهتدي الانسان الى اصل الكمال ومن أجل

---

(١) سبك شناسى ص٣-٤.
(٢) سورة الاحزاب/ الآية ٢١.
(٣) افعال الرسول ودلالتها على الاحكام الشرعية ج١ ص١٨٩-٢٠١.
(٤) تفسير الميزان ج١٦ ص٢٨٨.
(٥) سورة آل عمران/ الآية ٣١.

ذلك وجب الاقتداء بهذه الاسوة»[1].

والامام الخميني الراحل(رض) اعتنى بذلك من ناحية الفكر والعمل به كما انه قطع هذا الطريق بنفسه وايضاً عرض سيرة النبي باجمعه لتمهد الطريق لنجاة الجميع وهدايتهم.

الاصل، المحافظة على حدود الله، كان النبي الاكرم تابعاً للقانون أيضاً، تابعاً للقانون الالهي[2].

المحافظة على حدود الله في سيرة النبي الأكرم

كان النبي الاكرم حافظاً لجميع الحدود والحقوق ومراعياً للحرمات والحدود وحارساً للقوانين والموازين الالهية. ولم يقصّر في ذلك ولم يتعدّ تلك الحدود.

قال الامام الحسين(ع): سالت ابي عن سيرة رسول الله كيف كانت في خارج البيت؟ فقال: لا يقصّر عن الحق ولا يجاوزه (لا يجوزه)[3].

ينقل البلاذري وابن سعد عن الحسين(ع) عن ابيه عن سيرة النبي بانه: لا يقصّر عن الحق ولا يجوز الدين.[4].

ونقل ابن سعد بإسناده عن عائشة بانها قالت:

وكان رسول الله اذا خيّر ان يقوم بعملين، كان يختار اسهلهما ويتجنب العمل الحرام والسيئ اكثر من غيره. ولم ينتقم في أعماله الخاصة من احد الا ان يُساء لحرمة الله فينتقم منه صيانة لحدود الله.[5]

---

(١) شرح نهج البلاغة ابن ميثم ج٣ ص٢٨٥.

(٢) صحيفة الإمام ج١٠ ص٣١٠.

(٣) الموفقيات ص٣٥٧ — اخلاق النبي وآدابه ص٢٤ — عيون اخبار الرضا ج١ ص٣١٨ — معاني الأخبار ص٨٢، دلائل النبوة للبيهقي ج١ ص٢٨٩ — ٢٩٠ — الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٢٠٥.

(٤) الطبقات الكبرى ج١ ص٤٢٤ — انساب الأشراف ج١ ص٣٨٨.

(٥) طبقات ابن سعد ج١ ص٣٦٦ — الشمائل النبوية ص١٧٠.

هكذا كان رسول الله(ص) يحافظ على حدود الله ويحرسه.

يقول الامام الراحل في هذا الموضوع:

جاء في خلق رسول الله(ص) بانه، لم يستعن باحد في اي مشكلة او ظلم أحد اياه الا اذا كانت تهتك محارم الله فاذاً كان يغضب لله تبارك وتعالى.

التزام رسول الله بالحدود والموازين الإلهية

كان رسول الله(ص) ملتزماً بحدود الله والقوانين والموازين الدينية اكثر من اي احد ولم يتعد اي حدّ او قانون.

يقول الامام الخميني: لأمر الله او لقانون الاسلام حكم تامّ على جميع الأفراد والحكومة الاسلامية وان جميع الناس من الرسول الكريم حتى خلفائه وغيرهم تبعٌ للقانون الى الأبد[1].

لم يتجاوز رسول العدل القوانين الالهية في جميع أدوار الرسالة ولم يتخذ شخصياً نفسه اعلى من اي قانون، واشتدت كلمة الله تعالى على رسوله الكريم حيث قال:

«ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا من الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين»[2].

يقول الامام الخميني في تحليل هذا المقام للنبي الاعظم، أعني الحفاظ على حدود الله والتمسك بالقانون:

القانون يحكم في الإسلام، النبي أيضاً تابع للقانون، تابع للقانون الالهي، لم يستطع ان يتخلف عنه. يقول الله تبارك وتعالى للنبي ان تقوّل علي بعض الأقاويل أخذتك وضربت عنقك[3].

في سنة الرسول الاعظم، القانون للجميع ولم يكن أحد فوق القانون، والنبي

---

(١) ولاية الفقيه ص٣٤.

(٢) سورة الحاقة/ ٤٤-٤٧.

(٣) صحيفة الامام ج١٠ ص٣١٠-٣١١.

هو أعلى نموذج في الالتزام بهذا الأساس.

الإسلام هو دين القانون، حتى رسول الله لم يتخلف عن القانون ولا يكون مخالفاً له أبداً. يقول الله تعالى للنبي لو تكلمت مخالفاً بكلمة واحدة لقطعت وريدك، هو حكم القانون وبعد القانون الالهي لم يتمكن أحد ان يخالف القانون حكماً وتنفيذاً لأنه لا يكون حكماً لاي أحد[1].

ان رسول الله الذي هو في القمة لم يكن له في اي وقت حكم أو موضوع او قانون في مقابل القانون الالهي (القرآن المجيد) وكان منفذاً للدستور الالهي[2].

وهكذا يجد الفرد المسلم والامة الاسلامية صلاحهم وتنتظم العلاقات والصلات حقاً وتؤمّن سعادتهم وسلامتهم كما يعبّر أمير المؤمنين عليه السلام:

«لو حفظتم حدود الله سبحانه لعجّل لكم من فضله الموعود»[3].

وفي ظل تطبيق حدود الله وحفظ المحارم والموازين والقوانين الالهية تتجه جميع النعماء والبركات نحو الانسان ويعجّل في ظهور الموعود النهائي[4].

---

(١) صحيفة الامام ج١٠ ص٣٥٣.

(٢) المصدر السابق ج١١ ص٤٤٩.

(٣) غرر الحكم ج٢ ص١٤٤.

(٤) شرح غرر الحكم ج٥ ص١١٥-١١٦.

مبدأ بساطة الحياة

كان النبي الكريم(ص) يعيش حياة بسيطة ولم يستغل مكانته لصالح حياته المادية ليترك شيئاً لنفسه، وما ترك من شيء فهو العلم لانه افضل الأمور واشرفها لاسيما العلم الذي يوحى من الله تعالى[1].

بساطة حياة النبي الأكرم(ص)

بساطة الحياة كان لها الأثر الواضح في حياة النبي الأكرم. ان بساطة النبي وسلوكه وجوانب حياته المختلفة يعجب كل شخص. كان رسول الله بعيداً عن الفخفخة والأبّهة وكان يملأ القلوب حباً واحتراماً بحياته البسيطة.

كان النبي كثير العمل وقليل المؤونة وبساطة حياته كانت أساس التحلل من القيود ليخطو خطوات كبيرة لنجاة الأمة وهدايتها.

رواة السير دوّنوا حوله أنه كان خفيف المؤونة.[2]

كان النبي في الوقت الذي يصرف قليلاً يعمل كثيراً وحياته مباركة. واضح بان بين «الصرف القليل» و«كثرة العمل» صلة قريبة جداً، وهذا هو شان المؤمن.

روي عن الامام الصادق عليه السلام:

«المؤمن حسُن المعونة، خفيفُ المؤونة»[3].

الانسان الذي يتطلب العافية والابهة لا يستطيع ان تكون حياته مثمرة ومباركة لأن طبيعة الحياة الباذخة وحب التجمّل وما الى ذلك يشغل الانسان بنفسه ويسدّه عن الكمالات الحقيقية.

يقول محي السنة النبوية الامام الخميني في هذا المجال:

كثيرٌ من الناس يظنّون أن الراحة المادية والتمكّن وتملّك الأموال في

---

(١) ولاية الفقيه ص٩٢.

(٢) ارشاد القلوب ج١ ص١١٥.

(٣) الكافي ج٢ ص٢٤١.

المصارف او تملك الأراضي الشاسعة او الحدائق وامثال ذلك، تؤدي الى جلب السعادة وهذا هو خطأ يرتكبها الانسان.

يظن الانسان بأن سعادته هي أن يملك عدة بساتين او عدة قرى وله رصيد في المصارف وله في التجارة أي شيء، ربما يظن الانسان هذا لكن عندما نلاحظ ونميز السعادة نرى ان السعداء من عاشوا في الاكواخ والذين عاشوا في القصور لم يسعدوا وان البركات التي انتشرت في العالم من الاكواخ لا ترى مثيلاً لها في ارباب القصور. وكان لنا في صدر الاسلام كوخاً واحداً وهو وهو الكوخ الخُماسي وهو كوخ السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها وكان هذا الكوخ أقل من الاكواخ الموجودة. لكن ما هي بركاته؟ بركات هذا الكوخ وصلت الى حد أن غزت كل العالم بنورانيّتها والطريق طويل جداً للوصول الى هذه البركات.

وسكّان هذا الكوخ المتواضع من الناحية المعنوية كانوا في أعلى عليين بحيث لا تصل يد الملكوتيين اليها. ومن الناحية التربوية كانت كثيرة بحيث ان البركات التي نراها في البلدان الاسلامية لاسيما بلادنا هي من بركاتها.

والنبي الكريم وهو على راس الجميع كانت حياة قروية. ولا يتصور أن الغرفة التي كان يعيش فيها النبي، غرفة كالغرف الموجودة حالياً في مجتمعنا، بل عدة من حجرات متواضعة، وفي هذه الحجرة المتواضعة شعّ نور هذه الشخصية السامية فاطلّت على الملك والملكوت أنوارها وتوسعت في كل العالم رقعته التربوية بينما لم تنجّز له التي كان يريدها ولم يتمكّن بني البشر الوصول الى ما اراده بهذه السرعة الا ان يظهر حفيده وخلفه الصالح وتتحقّق على يده المباركة التربية الصحيحة الرفيعة.[1]

المثال الكامل للعيش البسيط

ان رسول الله(ص) هو المثال الكامل والنموذج التام للحياة البسيطة مثلما يقول الامام علي عليه السلام في وصفه (ص):

---

(١) صحيفة الامام ج١٧ ص٢٧٣.

ولقد كان رسول الله(ص) كافٍ لك في الأسوة... ولقد كان(ص) يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه.[1]

كان نبي الرحمة والعدالة يعيش ببساطة بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ وبالطبع تتغير صورة الحياة على مر الدهور وتتبدل وجهة الحياة ولكن حدود العيش ببساطة، ثابتة لا تتغير اي مجانبة الاسراف والتبذير والاتلاف والاتراف والعيش على اساس من القناعة والعفاف والكفاف والجهد والعمل، ورسول الله هو المثال الكامل لمثل هذه الحياة البسيطة وكان قد وضع كل المراسيم والتشريفات تحت قدميه، كان مجلسه لا يختلف ابداً عن مجلس أصحابه وكان يجلس في حلقة اصحابه[2] لكي لا تظهر اي افضلية.

نقل عن أنس بن مالك أنه قال:

كنا اذ أتينا النبي جلسنا حلقة،[3] كان يجلس مع أصحابه جلسة ليس لها ميزة مع جلسة أصحابه بحيث لم يعرف الأجانب اذا نظروا اليهم أيّهم النبي.

نقل عن ابي ذر الغفاري انه قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلس بين ظهرانيّ اصحابه فيجيء الغريب ولا يدري أيهم هو حتى يسأل.[4]

الامام الراحل هكذا يصوّر سلوك الرسول الكريم:

انّ من كتب السير تعرض لحياة النبي الاكرم بأنها أبسط من حياة عامة الناس في المدينة، كان يركب الحمار ويردف بشخص آخر وكان يتحدث اليه بمسائل تربوية. هاتوا انتم برجل حاكم او رئيس او اي شخصية كبيرة عاش هكذا. وكان سلوكه مع الناس عندما يجلس في المسجد، كان يشكل

---

(١) نهج البلاغة/ خ ١٦٠.

(٢) التراتيب الادارية ج٢ ص ٢١٧-٢١٨.

(٣) مكارم الأخلاق ص ٢٢ — بحار الانوار ج١٦ ص٢٣٦.

(٤) سنن ابي داود ج٢ ص٥٢٧ — اخلاق النبي وآدابه ص٦٠ — مكارم الاخلاق ص٢٦ — المحجة البيضاء ج٤ ص١٥٢ — بحار الانوار ج١٦ ص٢٦٢.

حلقة من الجالسين لا يميّز القادم من النبي منهم او من الحاكم ومن المحكوم،[1] وحياة النبي كلها قضيت هكذا سواء كانت في مكة وقبل الحكومة او في المدينة اثناء الحكومة ولم يدّخر لنفسه شيئاً ولم يضع حجراً على حجر، وقال امير المؤمنين حول هذا:

إن الله جعل محمداً صلى الله عليه وآله علماً للساعة ومبشراً بالجنة ومنذراً بالعقوبة خرج من الدنيا خميصاً وورد الآخرة سليماً لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما أعظم منة الله عندنا حين انعم علينا به سلفاً نتبعُهُ وقائداً نطأ عَقِبَه.[2]

والامام الخميني وصف هذه السيرة النبوية الكريمة بالقول:

كان عيش النبي بسيطاً جداً لم يستغل منصبه لصالح الحياة المادية لكي يترك شيئاً. وما تركه هو العلم الذي هو اشرف الأمور لاسيّما العلم الالهي.[3]

---

(١) صحيفة الامام ج٤ ص٢١٩.

(٢) نهج البلاغة/ خ١٦٠.

(٣) ولاية الفقيه ص٩٢.

مبدأ الريادة في التعبّد

قالت بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله فيه بانه كان يحدثنا ونتحدث معه حتى اذا حان وقت الصلاة كان يقوم عنا بحالة كانما لم يعرفنا ولم نعرفه لانصرافه الى الله سبحانه عزّوجل.[1]

التعبّد الريادي للنبي(ص)

حصل رسول الله صلى الله عليه وآله على اعلى درجات العبودية لله بحيث أصبح يستحق أعلى مراتب التوصيف الالهي.

«ثمّ دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى»[2]

كان رسول الله في العبودية سيد كل العابدين بحيث قال علي عليه السلام في وصفه: واشهد ان محمداً عبده ورسوله وسيد عباده.[3]

كان رسول الجمال في التعبد، يرى ان التعبد أفضل وسيلة ويتعبّد صادقاً عاشقاً بكل وجوده.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله متعلقاً بمناسك عبادة الله بحيث لا يرغب في أن ينشغل بعمل آخر ولا يخرج من حالته، ولذا كان يصلي الى حد تورم ساقيه وكان بعض الاحيان يبكي الى حد الاغماء وعندما كان البعض يسألونه لماذا تقوم بالعبادة الى هذا الحد فيقول:

«افلا أكون عبداً شكوراً»[4]

جاء في عدة من الروايات أنه صلى الله عليه وآله كان يتعبّد كثيراً بعد

---

(١) آداب الصلاة ص١١١.

(٢) سورة النجم/ ٨-٩.

(٣) نهج البلاغة/ خ ٢١٤.

(٤) مصباح الشريعة ص١٧٠ — الطبقات الكبرى ج١ ص٣٨٤ — مسند احمد بن حنبل ج٤ ص٢٥١ — صحيح البخاري ج٢ ص٤٩٤ — ج ٩ ص٥١٠.

نزول الوحي عليه لاسيما وأنه كان يتعبّد واقفاً بحيث تتورّم ساقاه وكان يعشق العبادة بحيث لا يلتفت في سبيل العبادة الى هذه الاسباب والعلل.

رأى الامام الراحل في ذلك:

إن خاتم الانبياء(ص) قد روّض نفسه كثيرا في عبادة الله، وقام على قدميه في طاعة الله حتى ورمت رجلاه المباركتان.[١]

ان رسول الله كان قد تحرر من كل قيد في سبيل العبادة وقد عرضت عليه الدنيا بكل زخارفها وتجليّاتها لتشدّه عن عبادة الله فلم تتمكّن ولكنه فضّل العبادة على كل شيء كما قال الامام علي عليه السلام:

عُرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها.[٢]

وقد روى الشيعة والسنة بان عبدالله العظيم هذا قال:

عرضت علي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: يا رب لا، ولكن اشبع يوماً واجوع يوماً فاذا شبعتُ حمدتك وشكرتك واذا جعتُ دعوتك وذكرتك.[٣]

هذا الذي تسمّت من وجوده الدنيا والآخرة كان يعتبر عبادة الله أفضل زاد وكان يرى ادراك الفقر الوجودي والمعنوي في عبادة الله.[٤] وكان فقيراً الى الله بكل معنى الكلمة ويفتخر بذلك ويقول: الفقر فخري.[٥]

لو أن شخصاً رفض التعلق بالدنيا واتجه بقلبه نحو الغني على الاطلاق وآمن بفقر الموجودات الذاتية وعلم ان لا شيء من الموجودات يملك لنفسه شيئاً ولا توجد القوة والقدرة والعزة الا لدى الحق تعالى وسمع بقلبه من الهاتف الملكوتي واللسان الغيبي «يا أيها الناس أنتم الفقراء الى

---

(١) الاربعون حديثاً ص١٧٦.

(٢) نهج البلاغة/ خ ١٦٠.

(٣) الكافي ج٨ ص١٣١ — كتاب الزهد ص٥٢ — صحيفة الامام الرضا ص١١٦ — الطبقات الكبرى ج١ ص٣٨١ — سنن الترمذي ج٤ ص٤٩٧ — عيون اخبار الرضا ج٢ ص٣٠ - امالي المفيد ص١٢٤.

(٤) يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله (فاطر/١٥) - وقل ربّ زدني علماً.

(٥) عدة الداعي ص١٢٣ — عوالي اللآلي ج١ ص٣٩ - بحار الأنوار ج٧٢ ص٥٥.

الله و الله هو الغني الحميد» وعندئذ يستغني من العالمين ويستغني بقلبه الى حد لا يوزن ملك سليمان عنده باقل وزن ولو قدّمت له مفاتيح خزائن الدنيا لما اعتنى بها كما ورد في الحديث ان جبرائيل قدّم للنبي مفاتيح خزائن الارض فتواضع النبي صلى الله عليه وآله عن قبولها وقال الفقر فخري.[1]

تعلّق النبي بالصلاة

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يهتم بالصلاة اكثر من كل عبادة وكان يؤدّيها أداء العاشق بانها تجمع بين صور العبادات.

ويقول العارفون ان باب العبادات باب الثناء على المعبود غير أن كل عبادة ثناء من الحق بوصف من الأوصاف او اسم من الاسماء الا الصلاة فانها تثنى على الحق بجميع أسمائه وصفاته.[2]

كان رسول الله يؤدي مثل هذه الصلاة ولا يشبع منها وكانت لياله مضيئة بها يعرج بها الى الله ويقول: وليكن أكثر همّك الصلاة.[3]

ان كيفية صلاة النبي وقيامه ليلاً جاء في روايات عديدة كلها تدل على تعبّده واتصاله وتماسكه بالصلاة والامام الراحل يصف كيفية صلاته في الليل كما يلي:

كان صلى الله عليه وآله يضع مسواكه وآنية وضوئه تحت وسادته ليلاً وكان يغطّي الإناء بشيء وعندما يفيق من النوم يستعمل مسواكه ثم يتوضا ويصلي اربع ركعات ثم ينام وينتبه مرة اخرى ويساوك ويتوضا ثم يُصلّي.[4]

وكانت عبادة النبي ببساطتها بعيدة عن التكلّف والتصنع من دون أن يشعر بمشقة بل كان الشعور يكمن في الرغبة واللذة المعنوية.

---

(١) الاربعون حديثاً ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٢) الاربعون حديثاً ص ٤٣٣.

(٣) تحف العقول ص١٩ — بحار الانوار ص ١٢٧.

(٤) الكافي ج٣ ص ٤٤٥ — دعائم الاسلام ج١ ص ٢١١ — تهذيب الاحكام ج ٢ ص ٣٣٤.

يكتب الامام الخميني في هذا المورد:

إذاً، كل عبادة من العبادات وكل منسك من المناسك الشرعية، فضلاً عن ان لها صورة أخروية وملكوتية، وبها يتم عمارة الجنة الجسمانية وقصورها، وتهيئة الغلمان والحور - طبقاً للبراهين واحاديث- فإن لكل عبادة من العبادات ايضاً اثراً يحصل في النفس، مما يقوي الارادة شيئاً فشيئاً ويصل بقدرتها الى حد الكمال. لذلك كلما كانت العبادات اشق كانت أرغب «افضل الأعمال أحمزها»، فالتنازل عن النوم اللذيذ في ليل الشتاء البارد، والانصراف الى عبادة الحق المتعال، يزيد من قوة الروح وتغلبها على قوى الجسم، ويقوي الارادة. واذا كان هذا في أول الأمر على شيء من المشقة والعناء، فان ذلك يخف تدريجاً كلما واصل العبادة، وازدادت طاعة الجسم للنفس. إذ أننا نلاحظ ان اهل العبادة يقومون بالأعمال دون مشقة وتكلف. أما نحن فشعورنا بالكسل وبالمشقة ناشئ من اننا لا نبدأ بالعمل. فلو أننا بدأنا العمل وكررناه عدة مرات، لتبدلت مشقته الى راحة، بل ان اهلها يلتذون بها اكثر مما نلتذ نحن بمشتهيات الدنيا.[1]

ولم تكن عبادة النبي الكريم كعبادة الآخرين بمشقّة وصعوبة أو غفلة او بناء على العادة او كعبادة الرقيق او التجار بل كانت عبادته عشقاً وعرفاناً.

الامام الخميني اكد على هذا الأمر خلال ذكره له باحاديثه والروايات وذكر ما يتلطّف منها كما حرّر:

قال الامام الباقر عليه السلام: ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان عند عائشة فقالت: يا رسول الله لم تتكلف هذه الزحمات وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدّم منها وما تأخر؟ فقال: يا عائشة ألم أكن عبداً شكوراً؟[2].

واعلم ان عائشة كانت تظن بان سر العبادة وعلّتها هو الخوف من العذاب أو غفران الذنوب وكانت تتصور ان عبادة الرسول كعبادة سائر الناس لذا

---

(١) الاربعون حديثاً ص ١٣٦.

(٢) الكافي ج٢ ص ٩٥.

فانها اعترضت على الرسول بإجهاد نفسه في العبادة وظنها هذا كان عن جهلها بمقام العبادة والعبودية ومقام الرسالة والنبوة ولم تعلم بان عبادة العبيد والأجراء بعيدة كل البعد عن ساحة قدسه[1] وعظمة الرب تعالى شانه وشكر نعمائه اللامتناهية كانت قد سلبت منه السكينة والقرار بل ان عبادة المخلصين هي صورة من تجلّيات الحبيب جل جلاله كما أشير اليها في الصلاة المعراجية.[2]

إن الأولياء عليهم السلام رغم أنهم قد ينصهرون في الجمال والجلال، ويفنون في الصفات والذات، لا يغفلون عن كل مرحلة من مراحل العبودية. وان حركات ابدانهم تتبع حركاتهم العشقية الروحانية، وهي تتبع كيفية ظهور جمال المحبوب، ولكن لا يمكن التحدث مع عائشة بجواب مفحم، بل اقتصر عليه الصلاة والسلام على جواب مقنع، حيث بيّن مرتبة من المراتب النازلة للعبادة حتى تعرف هذا المقدار بان عبادات حضرته ليست لهذه الامور الدنية الحقيرة.[3]

وكان رسول الله يرى العبادة عارفاً، عاشقاً هكذا وجميع اشكال العبادات ينبع عن هذا الادراك وتجلّي هذه المعاني.

---

(١) قال علي امير المؤمنين عليه السلام: ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار (نهج البلاغة – الحكمة رقم ٢٣٧) وقال عليه السلام ايضاً: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك (اربعين البهائي ص ٢٢٥) – بحار الانوار ج٧٠ ص ١٨٦-١٩٧-٢٣٤).

(٢) قال الامام الصادق عليه السلام في دور من صلاة المعراج للنبي: ثم طاطئ يديك واجعلها على ركبتك فانظر الى عرشي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فنظرت الى عظمة ذهبت لها نفسي وغشي علي فالهمت ان اقول: سبحان ربي العظيم وبحمده لعظم ما رايت فلما قلت ذلك تجلّى الغشي عني حتى قلتها سبعاً (علل الشرائع ج٢ ص٣١٥).

(٣) الاربعون حديثاً ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

مبدأ التواضع والخشوع

كان النبي في سيرته مع ازواجه يتعاون معهن في شؤون البيت.

وكان يحلب ذوات الضرع بيده ويخيط ملابسه ويخصف نعله بيده وكان يطحن ويعجن مشاركة لخادمه ويحمل بيده الكريمة بضاعته ويجالس الفقراء والمساكين وياكل معهم.[1]

مكانة التواضع والخشوع في السيرة النبوية

ان التواضع والخشوع من موضع العبودية والتطهير من الغرور والتعنت هو اعلى شؤون الانسانية. والذي له اقل مقدار من ادراك حقيقة الوجود ويعلم ان نفسه لا شيء وكل موجود هو (هو) وكل جمال وجلال وكمال يعود له (سبحانه وتعالى) فلا يبقى اي تطاول لأحد.

وحسب تعبير الامام الخميني:

العمدة في الموضوع اننا لم نعرف انفسنا ولا نعرف ربنا ليس لنا ايمان بانفسنا ولا بربّنا لم نصدق باننا لا شيء ولا نصدق ان ربنا كل شيء.[2] ولو ان الانسان يعرف ان العظمة والكبرياء خاصة له تعالى ولا ينبغي للانسان سوى العبودية، عندئذ يطاطا راسه تعظيماً لله ويخضع له ولم يتعامل مع الناس الا بالخضوع والخشوع.

وعلى ضوء بيان امير المؤمنين عليه السلام:

الحمد لله الذي لبس العزة والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرماً على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده.[3]

ولو نظر الانسان بدقة الى عظمة الله تعالى ورأى عرض القدرة الالهية في

---

(١) الاربعون حديثاً ص ٩٦.

(٢) تفسير سورة الحمد ص ١٠٨.

(٣) نهج البلاغة خ ١٩٢.

الوجود شعر بضعفه وبأنه لا شيء ويجرد هيكله من ثياب الكبرياء ويرمي عن راسه تاج الخيلاء.[1]

هكذا أشار الامام الراحل الى هذا الموضوع:

لو جرّبت حظك من الوجود وكمالاته مع سائر الموجودات لرأيت نفسك وجميع اجزاء الكرة الارضية بل جميع الافلاك في مقابل العالم المادي الجسماني الذي هو أخس مقامات جميع العالم وأصغرهم في جميع النشآت ولرأيت ان ليس لك اي شان في مقابل ذلك.

عزيزي لم تر غير نفسك وما رأيته لم تعتبره ولم تزنه، قِس نفسك وما تملكه من شؤون الحياة وزخارفها بمدينتك ومدينتك بمملكتك ودولتك بسائر دول العالم — التي لم تسمع اسماء بعضها — وجميع الدول بالكرة الارضية، والكرة الارضية المنظومة الشمسية والكواكب الهائلة التي تستنير بضياء الشمس والتي لم يحط فكري وفكرك بهن بمجموعات اخرى، التي شمسنا مع جميع كواكبها تكون كوكباً من منظوماتها وما اكتشفت الى الآن من ملايين المجرّات وان في هذه المجرة القريبة الصغيرة ملايين من المنظومات الشمسية وان اصغرها أكبر بملايين المرة من شمسنا واكثرها ضياء. وهذا كله يبدو في العالم الجسماني وعالم الطبيعة بحيث لا يعلم تقديرها سوى خالقها التي لم يكتشف المكتشفون سوى قليل منها. وعالم الطبيعية ليس له أي وزن في مقابل عوالم ما وراء الطبيعة، وهنالك عوالم لا يسعها الفكر البشري وهذه شؤون حياتي وحياتك وحظي وحظك من العالم الوجود وبعد ان تقرر ارادة الله عزوجل نقلك من هذه الحياة الدنيا يامر جميع قوى جسمك ان تميل الى الضعف ويصدّر قراره الى جميع ادراكاتك ان تتوقف عن العمل وتختل معامل وجودك وياخذ سمعك وبصرك وقوتك وقدرتك وتتحول خلال ايام الى جيفة نتنة يتقزز منها كل قريب وتنهزم الناس عن هيئة صورتك وتتلاشى جميع جوارحك وأعضاء جسمك، هذه حالات بدنك وأموالك وحشمك وخدمك لها

---

(١) نهج البلاغة خ ١٩٢.

حال معلوم، أما عالم البرزخ ان لم يصلح حالك (لا سمح الله) الله يعلم كيف تكون من الاحوال والصور. وتعجز مدارك أهل هذا العالم من سماعه والنظر اليه وشمّه. وتقايس ظلم القبر ووحشته وضغطته بظلام الدنيا ووحشتها وضغطتها مع العلم بانه قياس باطل.

الله يسعفنا لاننا اخترنا ما اخترناه لانفسنا، عذاب القبر الذي هو مثال من عذاب الآخرة وجاء في بعض الروايات ان ايدينا قاصرة عن التماس الشفعاء.[١]

والله أعلم أي عذاب هو؟ وحالتنا في النشاة الاخرى هي أسوأ بكثير من الحالات السابقة، انه يوم كشف الحقائق ويوم كشف السرائر، يوم تجسيد الاخلاق والاعمال، يوم يقوم فيه الحساب يوم الذل في المواقف، هذه هي حالة القيامة.

وأما حالة جهنم التي هي بعد القيامة معلومة ايضاً، انت تسمع بذكر جهنم وان عذاب جهنم ليس بلهيبها ونيرانها فقط، اذا فتحت باب من ابوابها الموحشة ان كانت في عالمنا هذا، يهلك أهلها من الرهبة واذا فتحت احداهما في أذنك والاخرى بانفك ان كانت في عالمنا هذا لهلك أهلها من شدة العذاب.

يقول أحد العلماء الملمين بشؤون الآخرة مثلما ان حرارة جهنم شديدة جداً فبردها اشد ايضاً، والله قادر على جمع الحر والبرد وهذه حالتك الأخيرة.

العدم اللامتناهي أصله في اول امره ومنذ تقدّمه في عالم الوجود جميع اعماله وتحرّكاته قبيحة وجميع حالاته مخجلة ودنياه وبرزخه وآخرته احداهما أسوأ وأفضح منهما، باي سبب يتكبّر؟ مع اي جمال يفتخر؟[٢]

ما لإبن آدم والفخر أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه.[٣] لو أنّ الانسان يخرج من شخصيته وينظر لنفسه وللوجود بجد، يبتعد عن الغرور بالنفس والتجبّر ويتجمّل بخلع التواضع والخشوع ولم يتكبّر ابداً.

ويوصي أمير المؤمنين مالك الاشتر النخعي في هذا المعنى فيقول:

واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر الى عظم ملك

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٤٢.

(٢) الاربعون حديثاً ص ٩٤ - ٩٥.

(٣) نهج البلاغة/ الحكمة ٤٥٤.

الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يُطامن اليك من طماحك ويكفَ عنك من غَرَ بك ويفيءُ اليك بما عزب عنك من عقلك.[1]

هكذا يتجلّى التواضع والخشوع في العلاقات والمناسبات الانسانية على أسس مبدئية. ورسول الله افضل مثال لهذا الاتجاه ببيان الامام الخميني، اذاً لا تكبر الاّ من الجهل المتناهي كل شخص جهله أكثر وعقله انقص بشيء، يكون كبرياؤه اكثر، وكل شخص علمه اكثر وروحه أكبر وصدره أوسع انشراحاً يكون أكثر تواضعاً، فرسول الله الذي كان علمه من وحي الله وكانت روحه كبيرة الى حد انها غلبت على ملايين ملايين من طبايع الناس.

ووضع جميع العادات الجاهلية والأديان الباخلة تحت قدميه ونسخ جميع الكتب واصبحت خاتمة الانبياء تختص بوجوده الشريف وصار ملكاً وسلطاناً في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى وكان تواضعه مع عباد الله أكثر من كل أحد.[2]

تجلّيات النبي الأكرم في التواضع والخشوع

حقّق رسول الله في جميع أدوار الحياة ومراحلها، اجمل ملامح التواضع والخشوع. وهكذا فقد أوضح الامام الخميني زوايا من تواضع النبي وخشوعه بما يلي:

كان يكره أن يقوم الاصحاب لقدومه[3] وعندما كان يراود المجالس، يجلس في ادنى مكان[4] وكان يتناول طعامه على الأرض جالساً ويقول انا عبدٌ

---

(١) نهج البلاغة/ الكتاب رقم ٥٣.

(٢) الاربعون حديثاً ص ٩٥.

(٣) نقل عن انس ابن مالك خادم رسول الله بانه قال، لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله وكانوا اذا راوه لم يقوموا اليه لما يعلمون من كراهيته لذلك. (سنن الترمذي ج ٥ ص ٨٤ — مكارم الاخلاق ص ١٦).

(٤) نقل عن الامام الصادق عليه السلام: كان رسول الله اذا دخل منزلاً قعد في ادنى المجلس اليه حين يدخل. (الكافي ج٢ ص ٦٦٢/ مكارم الاخلاق ص ٣٦/ مشكوة الأنوار ص ٢٠٦/ مستدرك الوسائل ج ٨ ص٤٠٣).

آكل كما ياكل العبيد وأجلس جلسة العبيد.[1]

وقد نقل عن الامام الصادق عليه السلام انه: كان يحب أن يمتطي الحمار بدون جلال وياكل الطعام مع عباد الله في أدنى محل ويلقم الغذاء للفقراء بكلتا يديه. كان هذا العظيم يركب الحمار ويُردف خادمه أو غيره عليه.

وجاء في سيرته أن يشارك نساءه في أعمال البيت وكان يحلب بيديه الأغنام ويخيط ثوبه ونعله بيده ويطحن مع خادمه ويعجن وكان يحمل بيديه امتعته ويجالس الفقراء والمساكين ويطعم معهم.[2]

كان رسول الله يصافح الفقير والغني ولا ينزع يده من يد احد حتى ينزعها ويسلّم من استقبله من كبير وصغير وغني وفقير ولا يحقّر ما دعي اليه ولو الى حشف تمرة.[3]

كان يمشي راجلاً وحافياً بلا رداءٍ ولا عمامة ولا قُلنسوةٍ[4]، كان لا يدع احداً يمشي معه اذا كان راكباً حتى يحمله معه فان أبى قال: تقدّم امامي وأدركني في المكان الذي تريد.[5]

كان يجيب دعوة الحر والعبد ولو على ذراع أو كراع ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويشربها ولا ياكل الصدقة ولا يثبت بصره في وجه احد بان يكره سيرة الملوك والسلاخين وتشريفاتهم من كيفية القيام والجلوس والذهاب

---

(١) آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد فانما أنا عبد. (الطبقات الكبرى ج١ ص ٣٧١/ البيان والتبيين ج٢ ص ٢١/ عيون الأخبار ج١ ص٣٦٧/ اخلاق النبي وآدابه ص١٦٩/ احياء العلوم ج٤ ص ٢١٦).

(٢) ويركب الحمار بلا سرج وعليه العذار، يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده يُردف خلفه عبده او غيره ويخدم في مهنة اهله ويحلب الشاة وكان يخصف النعل ويرقّع الثوب ويطحن مع الخادم اذا أعيى (المناقب ج١ ص ١٢٧/ بحار الانوار ج١٦ ص ٢٢٧). ولا يمنعه أن يحمل حاجته من السوق الى اهله وياكل مع العبيد (ارشاد القلوب ص ١١٥).

(٣) ارشاد القلوب ص١١٥.

(٤) المناقب، ابن شهرآشوب ج ١ ص ١٢٧.

(٥) مكارم الاخلاق ص ٢٢.

والمجيء.[1]

نقل عن الامام الصادق عليه السلام بانه قال: كان يكره أن يتشبّه بالملوك.[2]

نقل عن عدة أسانيد أنه جاء رجل الى رسول الله ليتكلم معه ولكنه عندما وصل الى حضرته إرتج عليه واخذ يرتعش فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: هوّن عليك فاني لست بملك أنما أنا ابن امرأة تأكل القديد.[3]

كان رسول الله يبرأ من التكلّف المصطنع ولا يحب ان يقوم الصحابة والناس احتراماً له. نقل عن أبي أمامة أنه قال: ذات يوم قد مرّ بنا رسول الله متكئاً على عصاً فقُمنا له فقال صلى الله عليه وآله: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظّم بعضها بعضاً.[4]

وكان رسول الله يتبرأ من التكبر والتفاخر ويوصي أتباعه من ذلك.[5] ولا يجيز رواج مثل هذه الأعمال. وقد روى عن عدة أشخاص ان النبي صلى الله عليه وآله قال: من سرّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار.[6]

وكان محبوباً كثيراً عند امته وكان يخشى بشدة أن يحترم أكثر مما يستحق ويتجه بعض اصحابه الى الوهيّته وكان يجاهد هذا الافتراء كما نقل انه قال: لا ترفعوني فوق قدري فتقولوا فيّ ما قالت النصارى في المسيح فان الله

---

(١) المناقب ج١ ص ١٣٧.

(٢) المحاسن ص ٤٥٨/ الكافي ج٦ ص ٢٧٢/ وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٤١٢/ بحار الانوار ج١٦ ص ٢٦٢.

(٣) سنن ابن ماجة ج٢ ص ١١٠١/ اخلاق النبي وآدابه ص٦٠/ عيون الاخبار ج١ ص٢٦٥/ مستدرك الحاكم ج٢ ص ٤٦٦/ تاريخ بغداد ج٦ ص ٢٧٧/ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص ١٧١.

(٤) مسند احمد بن حنبل ج٥ ص ٢٥٣/ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص ١٦٨ — لا تقوموا كما يقوم الاعاجم بعضهم لبعض ولا باس يتخلّل عن مكانه (مكارم الاخلاق ص ٢٦).

(٥) سنن ابي داود ج٢ ص ٥٥٨.

(٦) مسند احمد ج٤ ص ١٠٠/ سنن الترمذي ج٥ ص ٨٤/ امالي الطوسي ج١ ص ٥١/ مكارم الاخلاق ص ٢٥ — ٢٦ — ٤٧١ جاء(مَن أحبَ).

اتخذني عبداً قبل ان يتخذني رسولاً.[1]

جاء في رواية عمر أنه قال صلى الله عليه وآله: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم (عليهما السلام) فانما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله.[2]

ان هذا التواضع والخشوع الذي هو نتيجة مشاهدة عزّة الربوبية وذلّة العبودية لدى النبي الذي هو أعلى درجة التواضع والخشوع.

وهذا ما رآه الامام الخميني:

واعلم بان للتواضع درجات... الأولى تواضع الاولياء الكمّل والانبياء العظام الذين قد تواضعوا في حضرة الله تعالى ومظاهر جمال الذات المقدسة وجلاله عن طريق التجليات الذاتية والاسمائية والصفاتية والافعالية في قلوبهم.

ويوجد في قلوبهم منتهى التواضع والتذلل مشاهدة عزة الربوبية وذلة العبودية في أنفسهم.

وكلما تكاملت في هاتين النظريتين والمشاهدتين، تكاملتا في حقيقة التواضع ايضاً، كما ان الذات المقدسة لأعرف خلق الله وأعبد عباد الله خاتم النبيين هو أكثر تواضعاً بحضرة الحق المقدسة لانه اكمل الموجودات في مشاهدة كمال الربوبية ونقص العبودية.

ان هذه الطائفة من المتواضعين كما تتواضع للحق تعالى شانه تتواضع أيضاً لمظاهر جماله وجلاله والتواضع لما فيهما هو جزء من التواضع للحق تعالى وهؤلاء ضمن تواضعهم، لهم درجة الحب والمحبة وحبّ مظاهر الحق تتبع حب الله تعالى وهذا التواضع المتضمّن بالحب لهو أكمل درجات التواضع.[3]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ج١ ص ٢٠٣ – كما نقل ايضاً عن الحسين بن علي عليهما السلام هكذا:
لا ترفعوني فوق حقي فان الله تعالى اتخذني عبداً قبل ان يتخذني رسولاً/ المعجم الكبير ج٣ ص ١٢٨/ مجمع الزوائد ج٩ ص ٢١/ نوادر الراوندي ص ٣١.

(٢) مسند احمد ج١ ص ٢٤/ الوفاء بأحوال المصطفى ج٢ ص ٤٣٥.

(٣) شرح حديث جنود العقل و الجهل ص ٣٣٥.

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله مع الناس كالأب العطوف واكبر من الأب الحنون.[1]

المحبة والرحمة في سيرة النبي الأكرم(ص)

ولقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله في درجات الكمال الى حدّ حيث تجسّد بالرحمة والحب الالهي وكان ينظر الى جميع الناس بل جميع الكائنات بالرحمة والمحبة ويتعامل معهم على هذا الاساس كما ان الله تعالى قد وصف ذلك الحبيب بالرحمة الشاملة وخاطبه: «وما أرسلناك الاّ رحمة للعالمين»[2].

وهو مظهر تام لرحمة الله ومحبته وكان هو يقول:

وجوده أعلى درجات الرحمة الالهية على العالمين كانت جميع صفاته وميزاته رحمة للعالمين[3]. وكان مبنى سيرته على اساس الرحمة والمحبة كما نقل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: سالت رسول الله عن سنته فقال: الحبّ اساسي.[4]

ان هذه الرحمة والمحبة التي خامرت وجوده لأنه كان الهيّاً بتمام المعنى وحبّه لله كان بكل وجوده وكان ينظر الى جميع العالم الذي هو علامة ودليل على المحبوب بنظر الرحمة ويعاملهم على المودّة.

والامام الراحل قد بيّن ببيان لطيف بما يلي:

أعلى من هذه الدرجة هي أن تتلوّن القوة العاقلة بالصبغة الالهية وتصل القوة العاشقة الى الكمال الالهي المطلق بحيث كلّما تتحق انما تتحقّق بالحب الالهي وتنظر الى كل شيء بنظر العاطفة وينظر بالنظرة التي هي أثر وعلامة

---

(١) صحيفة الامام ج٩ ص ٣٢٩.

(٢) سورة الانبياء/ الآية ١٠٧.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص ١٨.

(٤) نفس المصدر ص ١٨٧.

للمحبوب.

وطبعاً هذه الدرجة الرفيعة لا تتوفر لكل احد. هذه الدرجة تريد نبيّاً رحمة للعالمين فاذا نظر الى الحجر ينظر باعتباره اثر للحبيب وكان ينظر ابا جهل بهذه النظرة ويمكن القول بان قتله كان بهذه النظرة لانه كان يعلم كلما طال عمره يزداد اثماً.

بالاضافة الى ذلك كان يرى بمقتضى الأمور ومراعاة حقوق الآخرين بانه اذا كان عضو فاسداً في المجتمع ان يعاقبه حسب القانون فانه صلى الله عليه وآله كان رحمة للعالمين.[1]

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعامل مع الناس باللطف والرحمة كما أنه ورد عن أنس بن مالك خادم رسول الله في هذا الموضوع بانه قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله من أشد الناس لطفاً بالناس.[2]

ان رافع راية العدالة والرحمة مع المؤمن والكافر والمسلم والمشرك كان يتعامل على هذا الاساس ويريد هداية الناس جميعاً ونجاتهم.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يترحّم على الكفار كما يترحم على المؤمنين كان مشفقاً على الكفار اي يتاثر بان يبقى الكفار على مذهبهم وينتهون الى جحيم جهنم وكان محترق القلب لاجلهم وكانت دعوته من أجل نجاة هؤلاء الكفار والعصاة والمردة.[3]

كان رسول الله يرجو خير وصلاح العامة وعندما كان يضطر بالقيام الى الحرب والمواجهة، فانما كان يفعل ذلك من اجل الرحمة والمحبة ولم يكن له غاية سوى نجاة الناس وهدايتهم وعلى قول الامام الراحل:

ان الشخص السالك الى الله الذي يريد التسمية ليتحقق معناها الأعم يجب عليه ان يشعر قلبه رحمة الله ويحقّق رحمانية الله ورحيميّته في قلبه. وعلامة

---

(١) تقريرات الأسفار نقلاً عن، النبوة من وجهة نظر الامام الخميني ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٢) دلائل النبوة — ابي نعيم الاصبهاني ج١ ص ١٨٢/ حلية الأولياء ج٦ ص ٢٦/ المطالب العالية ج٤ ص ٢٤.

(٣) صحيفة الامام ج٨ ص ٣٧٩.

تحقيق ذلك في قلبه ان ينظر الى عباد الله بنظر الرحمة واللطف و خالباً بخير الجميع وبصلاحهم.

وهذه النظرة هي نظرة جميع الانبياء العظام والاولياء الكمّل عليهم السلام، لكن هؤلاء لهم نظرتان:

نظرة الى سعادة المجتمع ونظام الاسرة والمدينة الفاضلة، والنظرة الثانية الى سعادة شخص ما وكانت لهم علاقة بهاتين السعادتين.

والقوانين الإلهية التي تتأسس على ايديهم وتنفيذها وتحقيقها عملياً تراعى فيها هاتان السعادتان بصورة كاملة حتى في تنفيذ القصاص وابرام الحدود وما شابه ذلك التي يلاحظ بها تلك السعادتان عند تاسيس نظام المدينة الفاضلة وتقنينها. لأنه غالباً ما، لها دور تام في تربية النفس وايصاله الى السعادة. حتى ان الذين لم يكن لهم نور من الايمان والسعادة ويقتلون بامر الجهاد ما شابه ذلك كـ (يهود بني قريضة) فان هذا القتل كان لهم صلاحاً واصلاحاً. ويمكن ان يقال ان قتل النبي لهم كان من جرّاء رحمته التامة لانهم كانوا في هذه الدنيا يضيفون في كل يوم عذاباً مختلفاً الى نفوسهم لكي لا يقابل كل حياته في هذا العالم يوماً واحداً من عذاب الآخرة وشدائدها.

وهذا الأمر واضح بالنسبة الى الذين يعرفون عذاب الآخرة وعقابها واسبابها ومسبباتها.[1]

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعامل بالرحمة والمحبة في ادارة الناس وقيادتهم وهدايتهم اكثر من اي شيء آخر. وكان صلى الله عليه وآله يدير المجتمع بقدرة الرحمة والمحبة ويسيّرهم بهذا الامر الى منتهى الكمال.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتعامل مع الناس بالعطف والمحبة بحيث انه لا يشك احد في صدقه وصفانه وهذه المحبة والعطف كانا يمكتان حب النبي في قلوب الناس.

كان الناس يشاهدون بان النبي يهتم لهدايتهم واصلاحهم بكل ما

---

(١) آداب الصلاة ص٢٣٦ - ٢٣٧.

يستطيعه وكان يعطف عليهم قلبه ويتحرّق لوعة لهم وعلى قول الامام الراحل:

ان الله تبارك وتعالى يعرّف النبي الاكرم في آخر سورة التوبة التي هي سورة الغضب بهذا النحو:

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»[1].

وانه جاء في هذه الآية «من أنفسكم» بدلاً من «منكم» التي تشير الى شدة علاقة النبي بالناس كانما ظهر في وجود الرسول صلى الله عليه وآله بضعة من روح المجتمع والناس .ولهذا يعرف صلى الله عليه وآله داءهم ويعلم مشاكلهم ويشاركهم في مصائبهم ومآسيهم.

ومع ذلك لا يتصوّر ان يقول الاّ لمصلحتهم او يخطو خطوة الا لاجلهم. وفي الحقيقة أنه اوّل وصف وصف به في الآية هو هذا وبعد هذا الوصف (من انفسكم) يشير الى أربعة اوصاف مميزة من اوصاف النبي صلى الله عليه وآله التي تثير عواطف الناس ولها اثر عميق في جلب مشاعرهم.

تقول الآية أولاً: أيّ أذيّة تصيبكم او ضرر فقد تؤذيه بشدة «عزيزٌ عليه ما عنتّم» اي لم يرض من تألمكم بل لم يكن غير معتنٍ بذلك.

يتألم من آلامكم بشدة وعندما كان يصرُّ على الحروب الضارية لأجل نجاتكم وخلاصكم من مخالب الظلم والجور والمآثم والشقاء، ثم انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعشق هدايتكم (حريص عليكم) «الحرص» اي شدة التعلق بالشيء وفي الآية المذكورة يطلق كلمة الحرص بصورة واضحة لا يتكلم عن الهداية ولا عن شيء آخر اشارة الى عشقه لما كان يؤدّي الى خيركم وسعادتكم وتقدّمكم. (وحذف المتعلّق هو دليل على العموم).

بناء على هذا فاذا كان يقدّمكم لميادين الجهاد أو يضغط على المنافقين تماماً كل هذا بدافع حبّه لحريّتكم وشرفكم وعزتكم وهدايتكم ولاجل

---

(١) التوبة/ الآية ١٢٨ — شرح حديث جنود العقل والجهل ص ١٦٤.

تطهير مجتمعكم.

ثم تبادر الآية الى الصفة الثالثة والرابعة «بالمؤمنين رؤوف رحيمٌ» بناءً على هذا فكل أمر صعب شاق يصدر منه حتى قطع الفيافي الحارة في الصيف مع الجوع والعطش من أجل مقابلة عدو قوي في غزوة تبوك فذلك نوع من المحبة والرأفة ايضاً.[1]

والغريب ان هذه الآية تأتي في آخر سورة التوبة التي هي سورة الغضب[2] ومع ذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الوصف كانما هو الحقيقة في اعلان الحرب على العدو المتمرد على المواثيق والعهود واظهار البراءة واتخاذ الموقف الحاد ضدهم هو رحمة لهم ووجود النبي رحمة للجميع وهو صلى الله عليه وآله حريص على حفظ المنافع للجميع في هذه الدنيا وفي الآخرة ورؤوف بالمتمسكين به ورحيم.

شدة رحمة النبي وحبّه للجميع

ان ضلال الناس وظلمهم يؤثر بشدة على رسول الله ويؤلمه. وكان(ص) يتالم من بعد الناس عن الهداية ومن تصَب الناس وعصيانهم. وكان بكل وجوده يسير لاجل نجاة الجميع وهدايتهم.

يُحلّل الامام الراحل في هذا المجال ويقول:

قول النبي(ص): ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت[3]، كذلك يعود الى هذا المعنى. لأنه كلّ نفس تدرك جلالة الربوبية وعظمتها وتعرف مقام الحق جل وعلا المقدس اكثر فتتألّم من عصيان العباد وهتكهم للحرمات اكثر.

وكذلك كلّ نفس تكون رأفتها ولطفها ورحمتها لعباد الله اكثر فتتألّم

---

(١) تفسير الأمثل ج٨ ص٢٠٦ - ٢٠٨.

(٢) لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة البراءة لان بسم الله للأمان والرحمة ونزلت براءة برفع الأمان بالسيف — تفسير مجمع البيان ج٣ ص٢/ تفسير التبيان ج٥ ص١٦٧-١٦٨.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب ج٣ ص٤٢/ كشف الغمة ج٢ ص٣٤٦/ بحار الانوار ج٣٩ ص٥٦.

من اعوجاجهم وشقاوتهم اكثر. و خبعاً ان خاتم النبيين صلى الله عليه وآله كان أكمل في هذه المقامات ومدارجها من باقي الانبياء والاولياء وجميع الناس. اذن كان تألمه وتأثره أكثر.[1]

اذا كان الانبياء يتألمون بان العباد – هؤلاء الناس الذين أتوا الى هنا وهم عبيد – يرون أنفسهم بانهم مستقلون ويعملوا لانفسهم ويفسدون لذلك، كانوا يشفقون لأجلهم. وأنا أحتمل ان يكون الحديث الشريف ما أوذي نبي مثل ما أوذيت من هذا القبيل واحتمل إن ما كان يعرفه رسول الله لم يعرفه سائر الانبياء ومهما كانت درجاتهم فهي لا ترقى الى درجته صلى الله عليه وآله ومهما كانت الدرجات أعلى كانت الآلام بالنسبة الى المعاصي التي ترتكب في العالم أكثر. بحيث اذا سمع في شرق الارض او غربها شخص مظلوم يتألم له لا فقط يتألم لابن مدينته او بلاده أو اقربائه بل لانه هناك ظلم شخص في العالم.[2]

كان رسول الله(ص) يحب جميع الناس وكان يريد نجاة الجميع وسعادتهم ومن شدة عطفه وحنانه كان يغتم اذا سمع بكفر الكافرين بانهم لماذا يصنعون بانفسهم هكذا وكان هذا الحنان الى درجة أن الله تعالى خاخبه بهذه الآية: لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين(ع).[3]

والباخع جاء من «البَخع» وهو قتل النفس غمّاً[4] ويعني هذا البيان بان رسول الرحمة كان الى أي حدّ من العطف والحب لأجل الناس وكيف كان يهتم ويصر على انقاذهم ويتحمل في هذا السبيل اي صعوبة وشدة وكان يغتم بعدم ايمانهم فنزلت الآية المذكورة وتسلية لقلبه صلى الله عليه وآله.[5]

وخاخب الله رسول الله صلى الله عليه وآله ايضاً:

---

(١) الاربعون حديثاً ص٢٤٦/ ٢٤٧.

(٢) صحيفة الامام ج١٩ ص٢٠٥.

(٣) سورة الشعراء/ الآية ٣.

(٤) المفردات ص٣٨.

(٥) تفسير روض الجنان ج٤ ص١١٥.

«فلعلّك باخعٌ نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً»[1].

نرى بان شفقة رسول الله وحنانه وعطفه بالنسبة الى الكفار ومنكري الحق لأجل انقاذهم وسعادتهم وصل الى حد قد شق له الأمر فنزلت الآية تسلية من الله تعالى له كيلا يتالم لشدة اهتمامه لهم ويهلك نفسه من أجلهم. لأنه كان صلى الله عليه وآله يحسب الناس جميعاً كابنائه وبضعة منه وكان يرجو صلاحهم وهدايتهم وعندما يرى ضلالهم كان مثل الأب الحنون يغتمّ بشدة بسبب ضلال ابنائه.[2]

يقول الامام الخميني في هذا المجال:

في حنان ذلك الكريم ورأفته على جميع اصناف البشر تكفي الآية الاولى من سورة الشعراء التي تقول:

«لعلّك باخع نفسك الاّ يكونوا مؤمنين»[3] واوائل سورة الكهف التي تقول: «فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً».[4]

التاسف بوضع الكفار وجاحدي الحق وارادته لسعادة عباد الله قد ضيّق الأمر على رسول الله صلى الله عليه وآله الى اي حد حتى ان الله سبحانه وتعالى سلاه وحفظ قلبه العطوف كيلا يذوب ويتقطع من شدة حزنه وهمه لأجل هؤلاء الجهلة.[5]

كان رسول الاسلام يغتمّ من عدم تربية الناس بحيث سلاه الله تبارك وتعالى وكان صلى الله عليه وآله في مشقة فخاطبه الله تبارك وتعالى بانه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وكان يغتمّ لأجل الأمة اكثر من اغتمام الأب

---

(١) سورة الكهف/ الآية ٦.

(٢) التفسير الكاشف ج٥ ص١٠٢.

(٣) سورة الشعراء/ الآية ٣.

(٤) سورة الكهف/ الآية ٦.

(٥) شرح حديث جنود العقل والجهل ص٢٣٤-٢٣٥.

لأولاده.

وكان يتأسف لما يرى الكفار لا يسيرون في طريق الانسان الطبيعي. [1]

وكان نبي الاكرم يغتم ويتنغص لاجل هؤلاء الكفار الذين لا يستسلمون ولا يؤمنون.

جاء في الآية الشريفة: كأنك باخعٌ نفسك لهؤلاء. كان يتمنى ان يصل العالم كله الى النور وانه قد بعث لازالة هذه الفوضى الموجودة في العالم التي هي تنبعث من النفس ولاجل الوصول الى القدرة، يزيل هذه الضوضاء ويوجد الاتجاه الى الله في الناس والتوجه الى النور فيهم. [2]

كان النبي الاكرم يتأسف لهؤلاء المشركين الذين يتجهون الى جهنم باعمالهم ويغتم لاجلهم. الاسلام دين الرحمة. [3]

لماذا كان رسول الله هكذا يحب الناس ويترحم لهم ويجهد نفسه من أجلهم ويغتم بسبب ضلالتهم بيد أنفسهم وعدم هدايتهم ويوجع نفسه؟

انه صلى الله عليه وآله كان يعشق جميع عباد الله كما يقول الكاشاني: الرحمة والشفقة على خلق الله من ملزومات حب الله ومن نتائجه. كان هو حبيب الله ومن ملزومات هذه المحبوبية، كان حبه لله. وكلما يشتدّ الحب للحق تكون الشفقة والرحمة على خلق الله أكثر لأنّ الشفقة على الخلق تنتج من الحب لله. ومن هنا يكون الناس له كابنائه وأقربائه. بل بسبب رفع الحجب الظلمانية والشهود الحقيقية يكون الناس كاعضائه وجوارحه صلى الله عليه وآله وبهذا السبب لحبه وعشقه لعباد الله وانقاذهم وصل الى حدّ كاد يهلك نفسه من شدة الحسرة عليهم. [4]

الامام الخميني الذي كان يأنس كثيراً بسيرة النبي وقد فكّر فيها ويعرفها جيداً وكان متعلقاً بها وكان بصدد احيائها كتب لولده المرحوم السيد احمد

---

(١) صحيفة الامام ج١٥ ص٤٩٢.

(٢) صحيفة الامام ج١١ ص ٣٨٠-٣٨١.

(٣) نفس المصدر ج١٤ ص٣٤٢.

(٤) تفسير محي الدين العربي ج١ ص ٧٤٢-٧٤٣.

الخميني رسالة عرفانية بما يلي:

في الحقيقة، لماذا كان خاتم النبيين صلى الله عليه وآله يتاسف ويتاثر بصورة مضنية من عدم ايمان المشركين بحيث خاطبه الله تعالى بهذا الخطاب «لعلّك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا» إلاّ انه كان يحب جميع عباد الله والحب لله حبٌ لتجليات الله. كان يتألّم من حُجب الانانية المظلمة بالمنحرفين التي ادت الى شقائهم وعذاب جهنم الأليم التي هي نتيجة أعمالهم وكان يرجو سعادة الجميع كما انه قد بعث لسعادة الجميع.[1]

وان رسول الرحمة لم يبتعد عن مجده وكرامته ورحمته كثيراً في اصعب الظروف.

نقل ان عمر بن الخطاب جاء اليه بعد غزوة أُحد التي شهد فيها النبي تلك المصائب والأهوال التي تحمّلها وقال له يا رسول الله ادع عليهم كما دعى نوح على قومه.[2] لكن النبي لم يرجُ لهم غير الرحمة والمغفرة فقال صلى الله عليه وآله: اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون.[3]

ونقل في غزوة أحد ايضاً حينما كسرت ثناياه وخضّب وجهه بالدماء وجرحت جبهته فَصَعُبَتْ هذه المصائب على كثير من أصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم ولعنتهم فقال صلى الله عليه وآله «إني لم أُبعث لعّاناً ولكني بُعِثتُ داعياً ورحمة. اللهم اهدِ قومي فانهم لا يعلمون»[4].

واستعمل الشدة من باب الرحمة فابدل الحدة باللين والمحبة وأبدل الحقد والعداوة بالعفو والرحمة.

نقل ابن اسحاق في يوم فتح مكة ان سعد بن عبادة الخزرجي حامل لواء الفتح وهو يرتجز: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحلّ الحُرمة. فجاء رجل الى النبي

---

(١) صحيفة الامام ج١٦ ص ٢١٦.

(٢) وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديّاراً (نوح/ ٢٦).

(٣) الشفا بتعريف المصطفى ج١/ ص ١٣٧-١٣٨.

(٤) نفس المصدر ص ١٣٥ - ١٣٧.

واخبره بذلك فامر النبي علياً عليه السلام ان ياخذ اللواء منه ويدخل مكة فاخذ اللواء وهو ينادي: اليوم يوم المرحمة اليوم تصان فيه الحرمة[1].

كان النبي هكذا وكان يحب ان اصحابه يقتدون به وأن يملأوا انفسهم حب الجميع والرحمة عليهم وان يلطفوا حياتهم بالانسانية.

وكان يقول صلى الله عليه وآله:

والذي نفسي بيده لا يضيع الله الرحمة الا على رحيم.[2]

(١) المغازي ج٢ ص٨٢٢.

(٢) مستدرك الوسائل ج٩ ص ٥٤.

مبدأ المساواة

ان جميع الاشخاص في الاسلام سواء بلا تمييز في صف واحد امام القانون حتى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله.[1]

مكانة المساواة في سيرة النبي الاكرم(ص)

ان المساواة التي اقرّها الاسلام والرسول الاكرم حققها وألبسها لباس التنفيذ، لا مثيل لها في تاريخ البشرية. وفي منطوق القرآن الكريم لا فرق بين الناس وكلهم من منهل واحد وأبناء ام وأب واحد ولا فرق بينهم.

(والحرير والحصير واحد   والعبد والمولى سواء)*

في منطوق القرآن الكريم وفي السيرة النبوية لا فضل للابيض على الاسود ولا للعربي على الاعجمي ولا لأولى الأمر على الشعب فضل ولا الحكام على الناس لهم فضل.

المواطنون في المجتمع سواء ولا تمييز بينهم ويتمتعون بكافة الحقوق الاجتماعية والعامة ومنها ان الاسلام قد رفض بصراحة مبدا التفاخر والعنصرية والافضلية الاجتماعية «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا انّ أكرمكم عند الله أتقاكم»[2].

بناء على هذا لا فضل ولا تفاخر لانسان على آخر الا بالتقوى وقد اعلن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله التساوي في الحقوق الاجتماعية والعامة امام القانون للجميع في مواقف مهمة ومواضع حساسة وابلغها لهم.

---

(١) صحيفة الامام ج١٤ ص٢٢١.

(*) ترجمة مضمون بيت من الشعر.

(٢) سورة الحجرات/ الآية ١٣.

وعند فتح مكة وساد الاسلام بشكل كامل، خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس وأعلن التساوي الاسلامي للجميع:

يا أيها الناس الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد الا لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا أسود على احمر ولا احمر على أسود الا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: ليبلغ الشاهد الغائب.[1]

أعلن خاتم الأنبياء أن قيمة القوم والقبيلة ليست باللون والعرق والمال والقدرة.

انه صلى الله عليه وآله وضع كل القيم المعروفة لدى الجاهلية تحت قدميه ونادى بالمساواة الحقيقية بان قيمة كل امرءٍ بالتقوى والعلم والمعرفة والعمل الصالح.

الامام الصادق عليه السلام قد نقل عن النبي صلى الله عليه وآله بان: اكثر الناس قيمة اكثرهم علماً وأقل الناس قيمة أقلهم علماً.[2]

بناءً على هذا ان قيمة المرء ليست بالأمور الظاهرية والطبقاتية بل بالأمور الباطنية والحقيقية التي لها ظهور وتجلٍ ونتيجة مفيدة.

الميزان هو العلم والتقوى وببيان الامام الخميني:

القيمة في لسان الانبياء والاولياء وعلى راسهم القرآن الكريم والرسول الاكرم صلى الله عليه وآله هو العلم والتقوى.

الميزان هو قيمة العلم والتقوى وهما توأمان. لا قيمة للعلم فقط او قيمته قليلة ولا قيمة للتقوى فقط او قيمته قليلة.[3]

تأسست المساواة في الاسلام على هذا المبنى ونتيجته في العلاقات الاجتماعية والسياسية هي نبذ لطلب الافضليات والعلو والاستعلاء والتمييز في جميع ابعادها العامة ويحظى الناس حقوقهم المدنية في أبعادها المختلفة بالتساوي – كلما

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ج١٦ ص ٣٤٢.

(٢) امالي الصدوق ص٢٧ – بحار الانوار ج٧٧ ص ١١٢.

(٣) صحيفة الامام ج١٧ ص١٨٥.

تكون من جنس المساواة — وبتعبير الامام الراحل:

في مملكة الاسلام لم يكن هناك فرق بين اكبر مسؤول واحد الرعايا في التمتع بالحقوق المادية بل تكون أقل منه.

كانت حريّة التعبير موجودة في الاسلام منذ البداية. كان الناس في عصر ائمتنا عليهم السلام بل حتى في عصر الرسول يعبّرون عن آرائهم بحرية.[1]

ان أهم خطوة في تحقيق المساواة هو ان الحكام لا يمتازون في ما يتمتع الجميع به ولا يتصفوا بالظلم والتمييز بسبب القدرات والامكانيات التي عندهم.

هكذا يعلّم أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليهما السلام في عهده لمالك الأشتر:

واياك والإستئثار بما الناس فيه أسوة[2]

وكذلك يقول:

فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء[3]

وقد خطا النبي الأكرم هذه الخطوة الاساسية في تحقيق معنى المساواة وحققها.

يقول الامام الخميني في هذا الموضوع:

الحكومة التي كانت على رأس المجتمع لم يكن لها ميزة مع باقي الناس. بل كانت معيشتها وحياتها أقل منهم. كانوا لا يريدون التحكم بالناس ولا يكونوا من هواة السلطة بل كانوا يريدون ان يخدموهم.[4]

راجعوا سيرة النبي الأكرم الذي هو مؤسس الاسلام وعلى رأسه ومؤسس هداية الناس، انظروها كيف كانت. هل كانت يوماً ما تبحث عن السلطة؟

---

(١) صحيفة الامام ج٦ ص ٢٧٧.
(٢) نهج البلاغة/ الكتاب ٥٣.
(٣) نفس المصدر/ الكتاب ٥٩.
(٤) صحيفة الامام ج٨ ص٨٦.

حينما كان مع أصحابه واصدقائه لم يكن يفرّق بين الابيض والاسود. [1]

تجليّات المساواة في سيرة النبي(ص)

لقد عمل النبي(ص) على ان تتجلى المساواة في الحقوق الاجتماعية والعامة وامام القانون والاستفادة من الامكانيات العامة وفي جميع المناسبات والعلاقات التي يكون فيها الجميع سواء.

يقول النبي في هذا الأمر: الناس سواءٌ كاسنان المشط. [2]

كان النبي الاكرم في مقام القائد والحاكم ومدير المجتمع الاسلامي حامياً للمساواة بكل معنى الكلمة. كما أنه كان يراعي هذا الأمر حتى في نظراته لاصحابه.

وقد نقل عن الامام الصادق عليه السلام أنه:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين أصحابه فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية. [3]

وكان صلى الله عليه وآله بريء من اي علوّ أو تمييز. جاء في هذا الموضوع انه: لا يرتفع على عبيده وامائه في ماكل ولا ملبس. [4]

كان همّ رسول الله صلى الله عليه وآله في عصر الرسالة أن يبيّن للناس سيرته ويعلّمهم المساواة وينفي كل الفضائل التي لا اساس لها في فطرة الانسان ويمحيها وفعل ذلك.

كان النبي في مقام الحاكم كالآخرين ولا تمييز في حكومته وببيان الامام الخميني:

ان حكومة الاسلام ليست مثل حكومة السلاطين ولا مثل رؤساء الدول، الحاكم الاسلامي هو الحاكم الذي بين الناس كان النبي يجلس في ذلك

---

(١) صحيفة الامام ج ١٢ ص ٥٠٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٠٠ - تاريخ بغداد ج ٧ ص ٥٧ - كنز العمّال ج٩ ص ٣٨.

(٣) الكافي ج ٨ ص ٢٦٨ — تنبيه الخواطر ج٢ ص ١٧٦ — وسائل الشيعة ج٨ ص ٤٩٩.

(٤) مناقب ابن شهرآشوب ج١ ص ١٢٧.

المسجد الصغير في المدينة واولئك الذين بيدهم مقدّرات الامور كانوا كباقي الناس يجتمعون في المسجد بحيث اذا دخل عليهم أحد من خارج المسجد لم يعرف أيهم رئيس ومن له مقام ومن منهم فقير – عن أبي ذر الغفاري: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس بين ظهراني أصحابه يجيء الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسال.(١)

ملبسه ملبس الفقراء ومجلسه مجلس الفقراء، كان في تطبيق العدالة بحيث اذا ادّعى احد الرعية او العبيد على رئيس الحكومة او السلطان واشتكى عند القاضي والحاكم فالقاضي كان يحضر الرئيس أمام المحكمة.(٢)

كان وضع رسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم مثل باقي الناس وواحد منهم لم يملك بيوت الملوك ولا يتميّز في المجالس من حيث صدر المجلس أو أدنى المجلس. عن انس بن مالك خادم الرسول أنه قال: كنّا اذا اتينا النبي جلسنا حلقة(٣).

انظروا الى سيرة النبي الاكرم الذي كان أول شخص ومؤسس الاسلام وهداية الناس، كيف كانت سيرته؟ هل كان يوماً ما من خلاب السلطة؟ عندما كان يجلس مع أصحابه وأصدقائه لم يكن هناك فرق بين الأسود والابيض كلهم يجلسون في حلقة واحدة، واحد يجلس والآخر بجنبه ولم تختلف المقاعد بالدرجات.(٤)

عندما كان رسول الله في المدينة التي هي مركز حكومته وكانت آنذاك واسعة كان ياتي الأعرابي ويرى حلقة الجالسين لم يستطع ان يعرف من الاكبر واين صدر المجلس وأدناه.(٥)

كان النبي يرى نفسه واحداً من المجتمع ولا يرى لنفسه أي ميزة بالنسبة

---

(١) سنن ابي داود ج٢ ص ٥٢٧ – مكارم الاخلاق ص ١٦.
(٢) صحيفة الامام ج٤ ص ٤١٧ - ٤١٨.
(٣) مكارم الاخلاق ص٢٢ – بحار الانوار ج١٦ ص ٢٣٦.
(٤) صحيفة الامام ج١٢ ص٥٠٩.
(٥) كحل البصر ص٦٨.

للآخرين وكان بريء من العلو جداً.

نقل ان في احدى سفرات النبي تقرر ذبح خروف، وكلٌ من الصحابة تعهّد لعمل، قال أحدهم: علي ذبح الخروف والآخر قال: علي سلخ جلده والثالث قال: طبخها عليّ فقال النبي: وجمع الحطب عليّ. فقال الصحابة: علينا العمل بكل الأمور ولا تتعب نفسك. فقال النبي صلى الله عليه وآله: قد علمتُ أنكم تكفوني، ولكني أكره ان اتميّز عليكم، فان الله يكره من عبده ان يراه متميّزاً بين أصحابه.[1] فقام النبي الى جمع الحطب.

كان النبي في جميع الأمور سواء فيها الناس يرى نفسه مثل الآخرين ويتعامل من دون اي تمييز.

من الأمور التي نتعلّمها من تجليّات المساواة في سيرة النبي هي المساواة امام القانون.

بتعبير الامام الخميني:

كان رسول الاسلام والائمة والخلفاء خاضعين جميعاً للقانون ومستسلمين له.[2]

هذا الموضوع ذو اهمية للذين هم في موضع القدرة والتمكين، لان القدرة تهيئ للانسان طلب العلو والتميّز ويستعلي بها الانسان ولن يرضى التساوي امام القانون. اما في سيرة النبي و طريقته، المساواة زاهرة في تاريخ البشرية وليست لها نظير في الحكومات.

هذه الميزة قد اتت في بيان الامام الخميني واكّدت عليها كما قال: الحكومة الاسلامية هي التي كانت في صدر الاسلام التي كانت كل الطوائف امام القانون على سواء.[3]

حكومة الاسلام، حكومة الدستور، أي الدستور الالهي، القانون هو القرآن والسنة. والحكومة هي الحكومة التي تابعة للدستور، اي كان النبي كذلك تابعاً

---

(١) كحل البصر ص٦٨.

(٢) صحيفة الامام ج١٤ ص٤١٤.

(٣) صحيفة الامام ج١١ ص٣.

للدستور وامير المؤمنين كان ايضاً تابعاً له. لم يتخلفوا عن القانون ولن يستطيعوا ان يتخلفوا عنه.[1]

في الايام الاخيرة من حياة النبي المباركة قد تجلّت واقعة بيّنت قمّة المساواة امام القانون. شاهد الناس منظراً عجيباً كي يعلم الجميع انه يجب ان يكونوا امام القانون وكيف كانت سيرة أكرم خلق الله.

هكذا بيّن الامام الخميني هذه الواقعة:

صعد النبي المنبر في أيّامه الاخيرة من عمره فقال: مَن له حق في عُنقي فليقُل (طبعاً لم يكن لاي أحد حق عليه) فقام أعرابي فقال: لي حق. فقال صلى الله عليه وآله: ما هو؟ قال عند الذهاب الى الغزوة الفلانية جلدتني بالسوط. فقال صلى الله عليه وآله: أين ضربتُ؟ فقال هنا. فقال صلى الله عليه وآله: فاضرب مكانه. فقال الأعرابي: لا، لانه آنذاك كان كتفي مكشوفاً فاكشف عن كتفك فكشف النبي عن كتفه فقبّله الأعرابي. فقال الاعرابي اردتُ تقبيل بدن رسول الله. بيد ان المسألة هي ان النبي آنذاك كان رئيس الحجاز المطلق في ذلك الوقت وبعض الأماكن الاخرى فهو يرتقي المنبر وينادي بذي الحقوق أن ياتوا ويأخذوا حقهم.[2]

نقل المؤرّخون الكبار هذه القضية بالتفصيل. قالوا أن النبي في ذلك اليوم اشتد مرضه وكان يعتمد على فضل بن عباس وعلي بن ابيطالب عليهما السلام ويمشي بصعوبة فدخل المسجد وارتقى المنبر وتفوّه بآخر خطبة لاصحابه فقال: أيها الناس فاني أحمدُ اليكم الله الذي لا اله الا هو وإنه قد دنا متي حقوق من بين أظهركم فمن كنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنتُ شتمتُ له عِرضاً فهذا عِرضي فليستقد منه الا وان الشحناء ليست من طبعي ولا من شاني الا وان احبكم اليّ من اخذ مني حقاً ان كان له او حللني فلقيت الله وانا أطيب النفس وقد ارى ان هذا غير مغنٍ عني

---

(١) صحيفة الامام ص٢٢.

(٢) صحيفة الامام ج٤ ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

حتى اقوم فيكم مراراً.[1]

ثم نزل من المنبر وصلى الظهر ثم صعد المنبر واعاد نفس الكلام.

كان رسول الله التجلّي الكامل لرحمة الله ولم يؤذ احداً ولم يهضم حقوق الآخرين ولم يعمل خلاف المساواة والعدل ولم يبال باحدٍ في تطبيق القانون، لم يغضب الا لله اما قد آن الاوان للعروج الى الرفيق الأعلى، كان يصرّ على أن لا يكون في ذمّته حق لاحد وقد حقق المساواة أمام القانون في اعلى درجته.

بعد اعادة الكلام فقد قام رجل وقال: يا رسول الله ان لي عليك ثلاثة دراهم فقال النبي أعطه يا فضل فدفعها الفضل اليه وجلس الرجل ثم قال رسول الله: ايها الناس من كان عنده شيء فليؤدّه ولا يقول فُضوح الدنيا الا وان فضوح الدنيا ايسر من فُضوح الآخرة.[2]

ثم قال رجل آخر فقال: يا رسول الله ان لله علي ثلاثة دراهم فقال النبي: ماذا عملت بها؟ فقال: كنت محتاجاً لها، فقال رسول الله: يا فضل خذها منه.

ثم قام رجل وقال: قد ضربتني بسوطك في غزوة فلان... الى آخره.[3]

لقد بيّن النبي ان رسول الله لا يتميّز امام القانون على عامة الناس كي يعلم الذين يدّعون العدل والمساواة كيف يتعاملون.

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص ١٨٩-١٩٠/ الكامل في التاريخ ج٢ ص٣١٩/ البداية والنهاية ج٥ ص٢٥١.

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) نفس المصدر وانظر الى مقال (خاتم النبيين محمد من الهجرة حتى الوفاة) ج١ ص ٣٦٢.

مبدأ الإهتمام بالمستضعفين

صلواة الله وسلامه على رسوله النبي الاعظم الذي قام وحيداً امام عبدة الاصنام والمستكبرين ورفع راية التوحيد خفّاقاً من اجل المستضعفين.[1]

مكانة الاهتمام بالمستضعفين

ان الاهتمام بامور المستضعفين كان من الأمور الواضحة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله اي كونه صلى الله عليه وآله معهم، والوقوف بجانبهم والحفاظ على كرامتهم والسعي على ازالة حرمانهم وايصالهم الى عزتهم الحقيقية والاهتمام للذين لم يكن فيهم خبيعة الاستكبار وبريئون من التفرعُن لكنهم حُرموا من حقوقهم الحقيقية. الاهتمام لتحرير الصلحاء من الأسر والتمهيد لصعودهم. الاهتمام للناس الذين يميلون الى الحق ولم يدركوا حقوقهم الانسانية والايمانية كما هو حقهم.

الاهتمام بالمستضعفين الذين يرثون الارض، وتزيل دولة الحق عنهم الحرمان وتوصلهم الى الكمال الذي ينبغي لهم.

ان الله يرعى المستضعفين الصلحاء وكان رسول الله واوصياؤه عليهم السلام يعطفون عليهم بكثرة ويهتمون بهم للحصول على حقوقهم.

النبي الاكرم صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين[2]، الرحمة الواسعة للجميع والرحمة الخاصة للمستضعفين الصلحاء. الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله كان يرى نفسه منهم وكان بجنبهم.

الامام الخميني يحلل هذا الموضوع بهذا الشكل:

الاسلام للجميع. نشأ الاسلام من سواد الناس ويعمل لأجلهم. لم ينشا الاسلام من الطبقة العليا. النبي الأكرم كان من الطبقة العامة وقام من بين عامة

---

(١) صحيفة الامام ج١٠ ص ٣٢٨.

(٢) وما ارسلناك الأ رحمة للعالمين، سورة الانبياء/ الآية١٧٠.

الناس وكان أصحابه من السواد العام. كان مخالفو النبي من الطبقة العليا. (النبي الأكرم) ظهر من بين هؤلاء الناس وقام لأجل هؤلاء الناس وجاء بالاحكام لاجل مصالحهم.[1] لقد أنقذ النبي هؤلاء المستضعفين من يد الظالمين بقدر ما سنحت له الفرصة[2]. وعد الله مستضعفي الأرض بأمنيّته وتوفيقه للغلبة على المستكبرين وجعلهم أئمة.

- ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين[3]. المستضعفون الصلحاء أحبّة الله ووسيلة رحمته أولئك الذين لم يقيّدوا بحبّ الدنيا وهم من اهل الايمان، وأسباب توجّه الله للجميع. كما ان رسول الله صلى الله عليه وآله خاطب سعد بن أبي وقاص بعد غزوة بدر فقال له: ألم تنصروا الا ببركة الضعفاء؟[4]

يقول الرسول الاكرم(ص) لهؤلاء الناس في أهمية احترام المستضعفين وكرامتهم وبالتالي الاهتمام بسموهم، انما ينصرُ الله هذه الامة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم.[5]

مثل هؤلاء الناس احب عباد الله، كانوا هم أول من التحق برسول الله وكانوا كذلك دائماً.

كتب شمس الدين الذهبي المؤرخ البارع المتوفى سنة ٧٤٨هـ يقول: الفقراء اول الملتحقين بالنبي والمؤمنين به وكان هكذا، أوّل الملتحقين بالانبياء والرسل هم الفقراء أولئك الذين كانوا أقل تعلقاً بالدنيا وأكثر استعداداً للهداية واكثر قبولاً للحق.

بتعبير الامام الخميني:

---

(١) صحيفة الامام ج١٧ ص ٥٢٨.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة القصص/ الآية ٣.

(٤) المغازي ج١ ص ٩٩ — تفسير القمي ج ١ ص ٢٥٥ — شرح ابن ابي الحديد ج ١٤ ص ١٦٦ امتاع الأسماع ج١ ص ٩٣ — تفسير الصافي ج١ ص ٦٣٧ — تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٢٠.

(٥) الدرر المنثور ج١ ص ٢٣٧.

كان أصحابه صلى الله عليه وآله من السواد العام ومن الطبقة الثالثة. الطبقة العليا كانت مخالفة للنبي الاكرم.[1]

كل من يرى الظواهر التاريخية الاولى للاسلام يجد ان الفقراء قد أحاطوا بالنبي، فئة لم تجدوا سوى الصفّة مكاناً، وهم اصحاب الصفة الذين كانوا يجلسون في مكان مثل هذه الباحة، مكان يسمّى بالصفّة. وبسبب عدم امتلاكهم المكان سمّوا بأصحاب الصفّة وكانوا من اصحاب النبي، يبيتون هناك لم يكونوا يملكون شيئاً، هؤلاء كانوا فقراء.[2]

المنطلق الاجتماعي للنبي الاكرم(ص)

كان للأنبياء الالهيّين منطلق اجتماعي[3] كانوا يقومون من بين المستضعفين ولم يتقيّدوا في حياتهم وتبليغ رسالتهم باغلال السلطات والافوياء ولم يكونوا كسائر المصلحين الذين يخنعون لذوي السلطات من اجل الحصول على السلطة والقيام بالاصلاحات.

كان تمسكهم تمسّكاً واحداً وهو الحق جل شانه وكانت قدرتهم وعظمتهم منه تعالى. كانوا ينطلقون من بين المستضعفين الذين كانوا يعيشون في الفقر وكانوا تحت الضغط. انهم كانوا قد ذاقوا الحرمان ومرارة الحياة ولم يتجهوا بعد بعثتهم نحو القصور الملكية حتى يؤدّوا رسالتهم في كنف ذلك.

كان الانبياء المخلصون يقومون من بين سواد الناس وكان اوّل من آمن بهم هم المستضعفون والمحرومون الذين كانوا موضع احتقار الاشراف وكانوا لجهلهم لا قيمة لهم وكان دائماً كذلك.[4]

كان مبعث خاتم النبيين مبعثاً اجتماعياً كان منهم ولأجل انقاذهم.

---

(١) صحيفة الامام ج٦ ص ٣١٣.

(٢) صحيفة الامام ج٤ ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٣) الحياة ج٢ ص ٦٥ - ٦٦.

(٤) انظر الى سور: هود/ ٢٥-٢٨ — الشعراء/ ١٠٥-١١٤/ هود/ ٩١ — الفرقان ٧-٨ — الزخرف/ ٣١.

هكذا اشار الامام الراحل:

ومن يتتبع تاريخ الانبياء يرى انهم برزوا من هذا السواد العام.[1] وجميع الاديان السماوية قامت من بين عامة الناس.[2]

كان رسول الاسلام ايضاً منهم من هذا السواد عندما قام ودعا الى الاسلام خالفته قريش وكان منهم الطواغيت والبُغاة وأصحاب رؤوس الاموال.[3] كان النبي من هذا السواد العام[4] وقد قام الرسول الاكرم من بين المستضعفين.[5]

كان النبي من قريش لكن ليس من اثريائهم ومستكبريهم بل من فقرائهم. يقول النبي كنت راعي الغنم.[6] كان النبي من فقراء قريش هو واعمامه كانوا كذلك. وعندما كان ابو طالب فقير الحال بحيث لم يتمكّن من اعالة اولاده فقسَمهم بين اقربائه. هكذا كانت الأمور آنذاك.

الله يجتبي رسله من بين المستضعفين من بين اولئك الذين استضعفوا من قبل المستكبرين. ويختار من بينهم من فيه من المؤهلات الذاتية ويجعلهم أمام المستكبرين.[7]

كان المستكبرون يذمّون خاتم الانبياء بسبب منطلقه الاجتماعي:

وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملكٌ فيكون معه نذيراً أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلاً

---

(١) صحيفة الامام ج٦ ص ٨٩.

(٢) نفس المصدر ج ٧ ص ٣٢٧.

(٣) صحيفة الامام ج٦ ص ٢٣٧.

(٤) المصدر نفسه ص٣١٣.

(٥) نفس المصدر ج٧ ص ٣٢٧.

(٦) سيرة ابن هشام ج١ ص ١٧٨.

(٧) صحيفة الامام ج٩ ص ١٦٩.

مسحوراً.[1]

وكان أشراف القوم يعتقدون بان الشخصيات من الرجال يجب ان لا يكونوا من همج الناس وسواده وان لا يمشوا في الأسواق لاجل الحصول على ما يريدون ويجب ان يكون لهم خدم وحشم والآن اذا لم يكن هكذا فلماذا لم يُنزل عليه الله ملكاً يصدّق دعوته ويقوم بما يلزمه وينذر معه الناس وعلى فرض انه يجب ان يكون النبي انساناً فلماذا يكون عادياً؟ وصفر اليدين وليس له مال ولا ثروة؟ لماذا لم ينزّل عليه كنز من السماء؟ ولماذا لا تكون له جنة ياكل منها ويرتزق منها معاشاً؟[2]

لم يتقبّلوا ذلك وكانوا يقولون لماذا لم ينزل القرآن على رجل فاره الحال وثريّ. «وقالوا لولا نزّل القرآن على رجل من القريتين عظيم»[3]

وفي نظرهم انّ تقييم الاشخاص لم يكن بمعيار الثروة والمال والمقام الظاهر والشهرة.

وكان اولئك الجهّال يتصوّرون ان شيوخ القبائل الظلمة والاثرياء منهم هم اقرب الناس الى رحاب الله ولهذا كانوا يتعجبون من عدم تنزل النبوة على احد منهم ونزلت على شخص فقير يتيم اسمه محمد (صلى الله عليه وآله). كان من وجهة نظرهم ان هذا امر غير معقول.

ولم يكن الامر كذلك في منطق الله وبناء على تعبير الامام الخميني ان يختار على أساس القابلية الذاتية:

اذاً فحامل تلك الدعوة العظمى يجب ان يكون قد احاطت به التقوى بصورة تامّة وان يكون انساناً خبيراً، صاحب ارادة، مصمّماً، شجاعاً، عادلاً وعارفاً بآلام المحرومين والمظلومين. وكان من اللازم مثل هذه الاوصاف من أجل حمل الرسالة السماوية. وليس حملّ من الثروات المادية والملابس الفاخرة والقصور

---

(١) سورة الفرقان/ ٧-٨.

(٢) التفسير الامثل ج١٥ ص٢٦.

(٣) سورة الزخرف/ ٣١.

المجللة والتجميل بالحُللِ والكُلَلِ. لاسيّما وان احداً من الانبياء لم يكن هكذا ولم يبعثوا هكذا من أجل هداية الناس. بحيث لا تلتبس المعايير والقيم الانسانية بالقيم الكاذبة وغير المعتبرة من الأمور.[1]

كان لرسول الله - على خلاف منطق المستكبرين — مكانة اجتماعية وكان بين عامة الناس ولهم.

كما عبّر الامام الراحل:

حينما نراجع التاريخ الاسلامي ونطالع سيرة النبي حتى زماننا بصورة صحيحة نرى ان النبي صلى الله عليه وآله كان من تلك الطبقة السفلى «ولقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم» اي من الناس العاديين. لقد كان انساناً من الطبقة السفلى بل تلطّف عليهم الله اذ بعث فيهم رسولاً منهم ومثلهم يشرب وياكل بينهم كما كان يعيش في المسجد كان يعاشرهم في المسجد ويجهّزهم بالقوة والسلاح لتحطيم الطواغيت. لقد اختار الله النبي من بين هؤلاء الناس.[2]

توجّه الرسول(ص) الى الاهتمام بالمستضعفين

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يهتم بايقاظ المستضعفين والنظر الى انفسهم ورفع اغلال الأسر عن انفسهم وانهاء الظلم والعدوان وقد وفّق في هذا المجال توفيقاً باهراً.

بتعبير الامام الخميني:

لقد انقذ النبي هؤلاء المساكين من سطوة الظلم بما استطاع في ذلك الوقت.[3] صلواة الله وسلامه على رسوله النبي الأعظم الذي قام وحيداً امام المستكبرين وعبدة الاوثان وهز راية التوحيد لصالح المستضعفين.[4]

---

(١) التفسير الامثل ج٢١ ص ٤٩.

(٢) صحيفة الامام ج١ ص ١٧١.

(٣) المصدر السابق ج١٧ ص ٥٢٨.

(٤) صحيفة الامام ج١ ص ٣٣٨.

كان النبي الأكرم يعتبر أولئك الذين لا يرجون علواً ولا يختالون، بأنهم أحسن عباد الله وكان يخدمهم بكلّ وجوده ويقول:

الا اخبركم بشرّ عباد الله؟ الفظّ المتكبّر، الا أخبركم بخير عباد الله؟ الضعيف المستضعف.[1]

اتجاه الاسلام هو نحو وصول المستضعفين الى حقوقهم حيث يخاطب الله تعالى نبيّه ويقول:

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فُرطاً.[2]

ذكر في اسباب نزول هذه الآية بانها نزلت في الضعفاء والفقراء من الصحابة مثل: سلمان وأبي ذر وصهيب وعمّار وخبّاب وأمثالهم.

والقصة كما يلي: جاء المؤلّفة قلوبهم الى النبي وقالوا: يا رسول الله لو تجلس في صدر المجلس وتبعّد عنا هؤلاء المساكين والنتنة ريحهم واولئك الفقراء، نجلس عندك ونسمع لقولك ولا مانع لوصولنا اليك الا هؤلاء.

المتكبّرون الذين لم يكونوا لم يتحملون الضعفاء الصلحاء كانوا يريدون من النبي ان يدخل معهم في صفّهم ويدبر على المستضعفين وكانوا يقولون: ان تطرد هؤلاء فنكون معك، نحن أولو قوة ومكنة، فماذا كان على النبي ان يقول لهم؟

هل يقول لهم لا اريد اسلامكم؟ في حين ان الاسلام للجميع وهو رحمة للعالمين؟ او يقول أقبلكم وأجلس عندكم وأبعد المستضعفين؟ الذين كانوا أحسن خلق الله وانصاره. فنزلت الآية الشريفة وبيّنت التكليف.[3] (سبق ذكر

---

(١) مسند احمد بن حنبل ج٥ ص ٤٠٧ — كنز العمال ج٣ ص ١٥٥.

(٢) سورة الكهف/ الآية ٢٨.

(٣) سنن ابن ماجة ج٢ ص ١٣٨٢-١٣٨٣ — تفسير الطبري ج١٥ ص ١٥٥ - تنبيه الغافلين ص ٨٦ — حلية الاولياء ج١ ص ١٤٦ — ١٤٧ — دلائل النبوة للبيهقي ج١ ص ٣٥١-٣٥٢ - اسباب النزول ص ٢٠٢.

الآية)

قام النبي بعد نزول الآية وتفقّد الضعفاء والمساكين فرآهم في نهاية المسجد يذكرون الله، فتوجّه اليهم وقال:

الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أمرني ان اصبر نفسي مع رجال من امتي، معكم المحيا ومعكم الممات.[1]

كان رسول الله صلى الله عليه وآله معهم بجانبهم هكذا يقول الامام الخميني في هذا الموضوع:

عندما كان الرسول الأكرم في الحجاز وكان متمكنو حجاز الذين كان النبي معهم، بعضهم في مكة من التجار الاقوياء وذي سمعة وفريق من الاثرياء في الطائف وكانوا أولو قوة، كابي سفيان وامثاله.

كان هؤلاء كالسلاخين والحكام والمتمتعين بكل شيء وقد نازعهم النبي صلى الله عليه وآله.

عندما هاجر النبي الى المدينة كان مع هؤلاء الفقراء لا مع الاثرياء ليُخدّر الأمة بل مع الفقراء لايقاظهم[2]. مثل هذا الاهتمام وتكريم المستضعفين وتعزيزهم يلاحظ في انحياز الرسول الاكرم في جميع مراحل رسالته. كان هذا الانحياز في المدينة وفي حال استيلاء الاسلام كان له وجهة أخرى كان منذ البداية حتى النهاية والوداع مع الاصحاب. قصة دخول النبي المدينة هي تبيّن هذه الحقيقة.

غادر النبي مسجد قبا يوم الجمعة قاصداً المدينة ودخل المدينة راكباً ناقته فاجتمع الناس من المهاجرين والانصار ومن المسلم والمشرك واليهود والاطفال والرجال والنساء حول الناقة وكانوا يسيرون معها والنساء والاطفال ينشدون الاهازيج وهم فرحين والنظرات المشتاقة والمستفسرة والنظرات المريبة نحو وجه الراكب الغريب الذي هرب من قومه الى هذه المدينة قد اثارت في الاذهان

---

(١) تفسير مجمع البيان ج٣ ص ٤٦٥.

(٢) صحيفة الامام ج٤ ص ١٨-١٩.

افكاراً كثيرة وفي القلوب نبضات مختلفة.

كان الراكب يقطع معابر المدينة وقد القى الناقة. ان الأمر عظيم بحيث لم يستطع الراكب ان يتخذ القرار بنفسه.

ان زمام الناقة بيد خفية يسجّل الآن مصير العالم ونهايته. مر الراكب على بيوت بني سالم بن عوف وقدم عتبان بن مالك وعباس بن عبادة، رجال آل بني سالم أخذوا زمام الناقة وقالوا: يا رسول الله انزل عندنا فان لنا جنداً كثيرين واستعدادنا تام وقواتنا لا تندحر.

الراكب الذي كان غارقاً في افكار مريبة ومحدقاً الى خطوات الناقة قال بلهجة حازمة: افتحوا الطريق للناقة فانها مامورة، فتنحّوا عنها واستمرت الناقة ومرت على بيت بني بياضة وزياد بن لبيد وفروة بن عمرو فاخذ هؤلاء زمام الناقة وقالوا: يا رسول الله انزل فان جندنا كثيرون واستعدادنا تام وقواتنا لا تندحر.

قال لهم: افتحوا لها الطريق فانها مامورة.

فاستمرت الناقة ومرّت ببيت بني ساعدة، فقدم سعد بن عبادة ومنذر بن عمرو مع رجال آل بني ساعدة واخذوا زمام الناقة، وقالوا: يا رسول الله انزل عندنا، فان لنا جنداً كثيرين واستعدادنا تام وقواتنا لا تندحر. قال لهم الرسول: افتحوا لها الطريق فانها مامورة.

فاستمرت الناقة ومرت على بيت بني عديّ بن نجار. كانوا أخوال النبي وكانت امّ عبدالمطلب من هذه القبيلة. سليط بن قيس وابو سليط وباقي رجال آل بني عديّ اخذوا زمام الناقة باشتياق فقالوا: يا رسول الله إبق عند أخوالك فان لنا جنداً كثيرين واستعدادنا تام وقواتنا لا تندحر.

قال لهم: افتحوا لها الطريق فانها مامورة.

واستمر الراكب طريقه ولم يدر أحد اين تقف الناقة، ولكن كان الكل يعلمون بان الرجل الذي يضع بعد قليل، أول حجر لبناء حكومة سوف تحكم على ملك قيصر وخسرو، لم يكن له حشم أو خدم أو عامل ولا يحيطه حصار عائلي أو طائفي او فئوي، لقد مرت الناقة على بيوت الاشراف وذوي الشهرة

والرجل الذي كانت العيون متجهة نحوه كان يرد على أصحاب البيوت خلبهم اي ان الرجل ضيف من لا بيت له. حتى انه لم يقف عند بيوت أقربائه واستجاب لطلب أخواله بما اجاب غيرهم أي ان الرجل قريب من لا قريب له. قد ثار الشوق وسار في السواد العام. كانت الناقة تشق خريقها وكلما تبتعد عن بيوت الاشراف والاكابر كانت تقترب الى الناس. حتى حينما مرت على بيت بني عديّ بن نجار لم تقف وعلم الناس ان الراكب ضيفهم وكلما كانت الناقة تخطو خطوة كانت تقترب الى عامة الناس والى مساكين وفقراء يثرب، النساء والاخفال والرجال المحرومون والشيوخ الفقراء الذين لم تختفِ علائم الفخر عن ملامحهم قد احمرت وجوههم من الفرح والامتنان وكانوا في منتهى الارتباك من شدة الفرح.

وهجم العامة كالسّيل نحو الناقة وراكبها الصامت الذي كان يزهر من جبهته راي سديد وقرار عظيم، كاتما الناقة كسفينة تجري على امواج نهر عاصٍ.

نظرات الاخفال والنساء والمحرومين والشبان الذين اشتعلت حرارة الايمان والثورة في ارواحهم والتي كانت ترمق شاخصة الى هذا الرجل والراكب — الذي كان سفيراً من عالم آخر — ظلت ثابتة، وانعكست صورة الراكب على صفحات الدموع ثم تهتز وتنسكب ثم تنمحي.

بعض المرات، النظرة والصورة تفحص احداهما الاخرى في موج غير مستقر ومستمر من الدموع ولم تجد احداهما الأخرى، تارة تتوضح الصورة ثم ترتعش وتندر ثم تنمحي و...

وفجاة، اهتز الموج الهادر الذي كان يجري في أزقة المدينة خلف الراكب، ما هو الخبر؟ اين؟ في عرصة فيها عدد من النخيل، في النهاية قد اناخت الناقة رحلها هنا.

جاء ابو ايوب الذي بيته بجنب العرصة بسرعة وأخذ الرحل من النبي الى المنزل.

سال النبي: لمن العرصة؟ أوضح له معاذ بن عفراء بأنها ملك ليتيمين هما

سهل وسهيل أبناء رافع بن عمرو الذي هو عندي، ارضيهما ليبيعا العرصة.[1]

تمّت مهمة الناقة ونزل رسول الحرية والعدل على أرض المستضعفين وبنى مسجده وبيته ليكون كرامة لجميع المستضعفين والمحرومين وموضعاً لعزتهم.

بات رسول الله في بيت ابو ايوب حتى انتهاء بناء المسجد وحجراته في بيت لم يوجد أفقر منه في المدينة.

وجسّد النبي الاكرم في عهد رسالته اجمل تجليات الكرامة للمستضعفين، كان صلى الله عليه وآله يحبهم ويحترمهم ولم يأذن لاحد تصغيرهم وتحقيرهم.

---

(١) مقال: از هجرت تا وفات محمد خاتم بيامبران ج١ ص ٢٦١ — ٢٦٤ مع التلخيص — الطبقات الكبرى ج١ ص٢٣٦-٢٣٧ — سيرة ابن هشام ج٢ ص ١١٢-١١٤ — دلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٥٠١ — وفاء الوفاء باخبار المصطفى ج١ ص ٢٥٨-٢٦٠.

مبدأ الوقوف بوجه المستكبرين

منذ بداية تاريخ البشرية ولحد الآن كان الانبياء واقفين بوجه الدول الجائرة. وقد كان الوقوف بوجه المستكبرين منذ بداية نبوة الانبياء والى عهد رسول الله وبعده الى عصر الائمة عليهم السلام.[1]

مكانة وأهمية الوقوف بوجه الاستكبار والمستكبرين

الوقوف بوجه الاستكبار والمستكبرين بمعنى نفي أي علو وتبختر وخيلاء والوقوف بوجه هذه الامور له طبيعة خاصة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله. للاستكبار وجوه مختلفة وباي وجه ظهر يجب الوقوف ضده. لانه اذا لم يدافع عن الحق وكرامة الانسان وحرمة الايمان وحقوقه الانسانية سوف يتجاوز جميع الحدود الانسانية والايمانية لان المستكبرين لا يعترفون باي حد وحدود لانفسهم. واذا لم يدفع ظلمهم وفسادهم لامتلأت الارض من الفساد والظلم.

«ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض».[2]

اذا لم يتم الوقوف بوجه الاستكبار ولم يردع سطوة المستكبرين وان لم يقف الناس ضد التعدّي والتبختر، سوف يتعدّى المستكبرون جميع الحدود وينتهكون الحرمات وجميع القيم. ويتوجهون نحو تدمير اماكن ذكر الله.

«ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرنّ الله من ينصره ان الله لقوي عزيز».[3]

---

(١) صحيفة الامام ج٢ ص ٣٧٠-٣٧١.

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٥١.

(٣) سورة الحج/ الآية ٤٠.

أنصار الحق واقفون بوجه تعدّي انصار الباطل دائماً.

النبي واتباعه في جهة وفي الجهة الاخرى وجوه مختلفة من الاستكبار، القوى السياسية الجائرة (الملأ)[1] والقوى الاقتصادية الفاسدة (المترفون)[2] والقوى الدينية المنحرفة (الأحبار والرهبان)[3] وكان دائماً مع الانبياء الالهيين اناس حنفاء كثيرون لم يلقوا راية الجهاد ابداً.

«وكأيّن من نبي قاتل معه ربيّون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين»[4].

كانت مسيرة حركة الانبياء الالهيين ومسيرتهم الجهادية ودورهم التاريخي هكذا بانهم كانوا يقومون ضد الظلمات، ضد الشرك وعبادة الاصنام والتمييز والظلم والاستعمار والرق وعدم المساواة، والانانية وعدم الحرية، وفي كلمة واحدة ضد الاستضعاف باجمعه، ضد الشرك مع جميع مظاهره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

لم يكونوا ابداً مع المستكبرين ولم يسيروا الا ضد الظلم والظلمات، وبتعبير الامام الخميني:

الذي يمعّن النظر في تاريخ الانبياء، يرى ان الانبياء بعثوا من عامة الناس ووقفوا بوجه سلطة الاقوياء. وكان من بين هذه العامة النبي موسى عليه السلام راعياً للاغنام بعصى واحدة من بين هؤلاء العامة قام ضد فرعون الى حد الوصول الى النهاية.

وكان نبيّنا الذي اقرب الانبياء لنا تاريخياً... كان من هؤلاء العامة

---

(١) الملأ: القوى السياسية التي تملأ العيون جلالتها وجبروتها وترتدها، اخمانت بالدنيا وظواهرها قلوبهم ويحسبون قبول الحق لهم خفّة ولم يقبلوا الحق.

(٢) المترفون: القوى الاقتصادية هم اهل الاسراف والتجمل وتعتمد على امكانياتها الاقتصادية بحيث تستطيع بها اي عمل وبناء على هذا تنكر الحق.

(٣) الأحبار والرهبان: القوى الدينية الكاذبة التي تحسب نفسها اعلى من الآخرين وتدعو الناس الى نفسها لا الى الله تعالى.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ١٤٤.

والجمعيات ومعهم وكان منذ البداية وحتى النهاية في جدال مع الافوياء واصحاب رؤوس الاموال والمتمكّنين. كان الانبياء من بين هؤلاء العامة ويرعبون الافوياء لا من الافوياء كي يحتال على العامة.[1]

عندما تراجعون التاريخ وتلاحظونه، ترون ان الرسول الاكرم قام مع هؤلاء الفقراء، مع هؤلاء المستضعفين بوجه اولئك المتمكنين واصحاب الاموال والقوافل والجنات والمطامع الذي كان آنذاك مظهراً طاغوتياً... في حين ان من تلى القرآن وهو اساس الاسلام ويرى هويته ومن يلاحظ احكام الاسلام والرسول الاكرم وتاريخه وحياته يعرف ان في القرآن آيات كثيرة لمواجهة الطواغيت وكانت سيرة الرسول الاكرم تتمثل في انه منذ البداية يحارب مع الذين يريدون السيطرة على الناس واستحقارهم وقام بوجه هؤلاء.[2]

هكذا كانت سيرة الانبياء. كان الانبياء والاولياء يقومون بوجه الظلمة وبوجه الظالمين.[3] كان الوقوف بوجه المستكبرين منذ بداية نبوة الانبياء وحتى عهد رسول الله وبعده الى عصر الائمة عليهم السلام.[4]

وقوف النبي الأكرم بوجه المستكبرين

وقف رسول الله صلى الله عليه وآله في عهد رسالته بوجه المستكبرين وجاهد المظالم والجرائم والتعدي والانانية. كما بين الامام الخميني:

كم حروب وقعت في عهد الرسول الاكرم، لاصلاح المجتمع وقطع ايدي الظلمة والجبارة اصحاب رؤوس الاموال، لقد قضى (ص) عمره في مكة بهذا الامر وتعامل بالبينات والميزان والمواعظ، لا انه جلس في الظل لم يعبأ بما يحدث حوله، بل كان يجمع الناس حوله ليتهيئ له الامر حتى هاجر الى المدينة

---

(١) صحيفة الامام ج٦ ص ٨٩.
(٢) صحيفة الامام ص١٥٩.
(٣) المصدر السابق ج٤ ص ١٥٠.
(٤)المصدر السابق ج٢ ص ٣٧١.

وكانت الغزوات والقضايا السياسية.[1]

وما أكثر ما تحمّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة قبل الهجرة حتى اذا ما دخل المدينة بدأت الغزوات والحروب من سنوات عشر.[2]

قضى النبي(ص) عهد مكة بالمقاومة في مواجهة الاذى والتهديد والتعذيب والضغوط الشديدة وثبت على الدعوة للتوحيد. وجاء عهد المدينة فشخص الدفاع عن التوحيد واجاز رسول الله بعد ما نزلت آية القتال[3] أصحابه بالمواجهة واعد قومه للمقاومة امام المستكبرين لحوالي مائة معركة وغزوة دفاعاً عن الرسالة.

واعدّ تنظيم غزوة واحدة لكل شهر لدفع الهجمات والمؤامرات. واختلف الرواة في عدد هذه الغزوات.

وذكر ابن اسحاق محتسباً عمرة القضاء سبعاً وعشرين غزوة قد حضرها النبي بنفسه.[4] وذكرها الطبري والمسعودي ستاً وعشرين غزوة وقالا ان بعض الروايات تذكر سبعاً وعشرين غزوة.

ودليل هذا الاختلاف ان البعض عد غزوات رسول الله وضمّنها رجوعه من خيبر الى وادي القرى غزوة واحدة والفرقة الثانية عدا خيبر وام القرى اثنتين.[5]

وعدها ابن حزم خمساً وعشرين غزوة.[6] وذكر ابن سعد البعثات والسرايا اي تلك الحروب التي لم يحضرها رسول الله ثمان وثلاثين بعثة وسرية.[7]

ونقل المسعودي عن بعض انها خمساً وثلاثين وعن الطبري ثمان وأربعين وعن البعض الآخر ستاً وستين سجّلها ابن حزم سبعاً وثلاثين سرية.

---

(١)المصدر السابق ج١٥ ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) صحيفة الامام ج١٤ ص٣١٤.

(٣) سورة الحج/ الآية ٣٩.

(٤) سيرة ابن هشام ج٤ ص ٢٨٠-٢٨١ — الطبقات الكبرى ج٢ ص ٥.

(٥) تاريخ الطبري ج٣ ص ١٥٢ -- مروج الذهب ج٢ ص ٢٨٠-٢٨١.

(٦) جوامع السيرة النبوية ص١٥.

(٧) سيرة ابن هشام ج٤ ص ٢٨١.

بناء على هذا كان رسول الله مضطراً للدفاع عن رسالته وعن حدود الاسلام. وفي هذه المسيرة خاض جميع هذه الحروب ولم يقض أيامه براحة لانقاذ الناس وتحقيق هذا الامر.

وبتعبير الامام الراحل:

كان النبي الأكرم في تعب طيلة حياته، لا تستطيعون ان تجدوا له في تاريخ الرسول انه (ص) استراح لمدة شهر قد تعب كلها لاجلكم. والآن دينه بين أيديكم.

ما أكثر الأذى التي تعرّض في مكة طيلة ثلاث عشرة سنة وباقي ايامه كلها قضاها في الحروب والمعارك ودفع الظالمين.[1]

جميع المعارك التي خاضها النبي كانت دفاعية وفي الحقيقة مثلت الوقوف بوجه المستكبرين الذين كانوا لا يريدون ان يروا تحرير الناس من اسر الاوثان.

زعماء قريش ورؤساء القبائل كانوا يكتسبون مصالحهم المميزة والسلطوية يحتفظون بها تحت لواء عبادة الاصنام وقد قاوموا بكل قوة امام انهيار نظام عبادة الاصنام وكان تعدّيهم وفتنتهم على هذا الاساس.

وبظهور الاسلام رأى رؤساء القبائل وزعماء المشركين الذين يحكمون مع ظهور الاسلام أنفسهم في خطر ولهذا عملوا على تدمير الاسلام والمسلمين وحمّلوا المسلمين تلك المعارك الكثيرة.

ان آيات الجهاد وسيرة النبي ودراسة الغزوات والسرايا تبين هذه الحقيقة جيداً.

«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الاّ ان يقولوا ربّنا الله»[2].

دعا القرآن الكريم المسلمين للدفاع المشروع والوقوف بوجه الانانية والعدوان

---

(١) صحيفة الامام ج٥ ص ٤٦٦.

(٢) سورة الحج/ ٣٩-٤٠.

واكّد عليه.

يقول الامام الخميني في هذا المجال:

من له قليل من المعرفة بمنطق القرآن يرى ان القرآن أراد من رسول الاسلام بان يحارب دائماً أصحاب رؤوس الاموال والمتمكّنين والاقوياء والبغاة في الحجاز والطائف ومكة.

واراد القرآن من الرسول الاكرم بان يحارب مخالفي عامة الناس ومنافعهم اولئك الذين يستعبدونهم كي يعدل بينهم.

الحروب التي حدثت في عهد النبي وبعدما حصلت أسبابها، كانت كلها مع الاقوياء مثل ابي سفيان ونظيره من الجبابرة، كانوا يريدون منافع امتهم لانفسهم، كان الظلم والعدوان والاجحاف منتشراً والحروب التي وقعت كانت بين المستضعفين والسواد العام أولئك الفقراء مع الاقوياء الذين يريدون ان يغتصبوا حقوقهم.[1]

كان أهل مكة كلهم اقوياء ومتمكنين، ويرون انه اذا انتشر الاسلام سوف يخالف منافعهم، بناء على هذا كانوا يخالفون النبي خوفاً من انتشار دينه وما يجري على منافعهم.

كانت الاصنام وسيلة عندهم وكذلك لم يكونوا مؤمنين بها وكل الامور كانت تدور حول منافعهم المادية التي كانوا يرون أن النبي الاكرم ضدها وسوف يخسرونها.[2]

الدفاع عن الحرمة الانسانية والايمانية أمرٌ ضروري واصل عقلاني والله تعالى عرّف أساس الحرب والجهاد وبيّن هذه الحقيقة بانه اذا لم يدافع عن الحدود والحرمات ماذا سيحصل من الهلاك والفساد.[3] بناء على هذا، ان الحرب والجهاد في الاسلام لرفع الظلم والعدوان كما قال الله تعالى:

«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا

(١) صحيفة الامام، ج٤ ص ٢١٤.

(٢) نفس المصدر، ج٥ ص ٣٦.

(٣) سورة الحج/ الآية ٣٩-٤٠.

تـعـتـدوا ان الله لا يحب المـعـتـديـن»[1].

كان وقوف النبي بوجه المستكبرين بناء على هذا الاساس.

بتعبير الامام الخميني:

لم يقصد الرسول الاكرم هلاك مشركي مكة أو مشركي جزيرة العرب بل كان هدفه انتشار دين الاسلام واقامة الدولة، دولة القرآن ودولة الاسلام، وعندما صدّوا عن تحقيق الحكومة الاسلامية كان الأمر ينتهي بالحرب ضدهم، كانوا يعارضون حكومة الاسلام ويقفون بوجهها. كل معارك رسول الله كان من اجل ازالة الموانع عن هذا الهدف الالهي والسامي وهو تشكيل الحكومة الاسلامية، حكومة الله، حكومة القرآن، كلها كانت من اجل هذا الامر. بحيث اذا لم يكن هناك معارض لهذا الامر لم يحدث اي حرب.

كانوا يعارضونها ويمنعون تحقيقها، اذاً تحدث المعارك.[2]

لم تقع حرب في الاسلام من اجل بناء المجتمع والصدّ عن الذين لا يريدون تقدم المجتمع، لم يكن في الاسلام هكذا حرب.[3]

لم تكن الحرب في الاسلام في نفسه شيئاً او خطة.[4] لم تكن لطلب السلطة، كل المعارك والحروب التي حدثت في الاسلام بناء على هذا نرى في سيرة النبي الاكرم وباقي الانبياء والاولياء العظام وامير المؤمنين سلام الله عليه، نرى في سيرتهم انها لم تكن فيها طلب للسلطة. واذا لم تكن من أجل أداء الفريضة واصلاح الامة لما قبلوا هذه الخلافة الظاهرية ولرفضوها.[5]

الاسلام دين السلم والصلح والعدل. ولا يجيز لاتباعه الظلم والتعدي والعدوان، في حين يدعوهم للمقاومة امام العدوان ويعرّف هذا الدفاع المشروع والعقلاني بانه عمل انساني وايماني سام.

---

(١) سورة البقرة/ الآية ١٩٠.

(٢) صحيفة الامام ج٨ ص ٤١.

(٣) المصدر نفسه ج١٠ ص ١٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١٢ ص ٣٩٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

مبدأ الصبر والاستقامة

كانت الاستقامة التي تعتبر لازمة من لوازم قيادة الانبياء الاكرمين متجسدة بشكل كامل في الرسول الاكرم[1].

مكانة وأهمية الصبر والاستقامة

«الصبر» بمعنى الاستقامة وضبط النفس.[2] مثل «الرشد» لان «الرشد» الاستقامة في طريق الحق والشدة فيه.[3] و«الصبر» في هذا المعنى جهاد مستمر يتغير صورته وظاهره، أما اصل الجهاد والاستقامة والثبات فهو أمر ثابت. كفّ النفس عن المعاصي ورسوخ القدم في الحق، تارة الاستقامة في الحرب وتارة الاستقامة في السلام. وتارة الصبر على المتاعب والمصاعب وبعض الاحيان رسوخ النفس في الرخاء والراحة.[4]

لا يمكن الاقدام على سير السمو والرشد والوصول الى الاهداف السامية. من دون هكذا صبر. وما سهّل وصول الرسول الكريم الى الاهداف السامية والراقية ومهّد أرضية تحقيق أهدافه الالهية هو صبره واستقامته بحيث انه بعث بمفرده وحقق مآربه تلك بهذا الشكل العجيب.

وعلى حد قول الامام الراحل:

عندما بعث النبي وحيداً خالفه الجميع الاّ انه واصل طريقه بالاصرار والاستقامة.[5]

ان سرّ نجاح الرسول الكريم بالرغم من تلك المشاكل الكبيرة التي تقصم الظهر هي استقامته العجيبة.

---

(١) صحيفة الامام ج٧ ص ٢٤٤.

(٢) الاربعون حديثاً ص ٢٦٠.

(٣) تاج العروس، ج٢ ص ٣٥٢.

(٤) الاربعون حديثاً ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

(٥) صحيفة الامام ج١٩ ص ٢٢٩.

ان ما ابتلي به النبي لم يبتلى به اي نبي، لكنه ثبت الى الاخير وعمل بما كلف به.[1]

ان النجاح في الحياة والحصول على المكافاة الاخروية لا يتاتى الا بالصبر والاستقامة، كما ان آيات القرآن الكريم تفصح عن هذا الأمر:

«سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار»[2].

«ولنجزيّن الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»[3].

«والله يحب الصابرين»[4] و«انّ الله مع الصابرين»[5].

وفي القرآن الكريم خمسون آية يوصي الله تعالى فيها بالصبر والاستقامة وشجّع عليهما ومجّدهما ووصف الصابرين بانهم أحبائه وذكّر بنتائج عجيبة للصبر والاستقامة.

ان للصبر والاستقامة درجة بحيث أمر الله الرسول الكريم في عشرين آية من القرآن الكريم بهما. لان الصبر والاستقامة من خصوصيات الانبياء ولم تتحقق أهداف الرسالة الا بهما.

«فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرُّسل»[6].

«فاصبر صبراً جميلاً» و«فلذلك فادعُ واستقم كما أُمرت ولا تتَّبعْ أهوائهم»[7].

وقد حقّق النبي هذا الأمر بكلّ معناه، وصبر في كل أدوار رسالته الى ان حصل ذلك الانتصار العظيم.

---

(١) صحيفة الامام ج١٨ ص ٢٧٥.

(٢) سورة الرعد/ الآية ٢٤.

(٣) سورة النحل/ الآية ٩٦.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ١٤٦.

(٥) سورة البقرة /الآية ١٥٣، سورة الانفال/ الآية ٤٦.

(٦) سورة الاحقاف/ الآية ٣٥.

(٧) سورة الشورى/ الآية ١٥.

- **صبر الرسول الكريم واستقامته**

بنظرة الى مسيرة مراحل الدعوة بعد البعثة في مكة والمدينة نجد بسهولة بان صبر النبي واستقامته لهما دور رئيسي. قد بيّن الامام الراحل بتحليله التالي:

بعث النبي الاكرم صلى الله عليه وآله في بداية مهمته وحيداً، «قُمْ فأنذر»[1] . إنهض وادع الناس، الدعوة بدأت منه صلى الله عليه وآله ويوم اعلان نبوّته آمن معه امراة وصبي، لكن الاستقامة التي هي من لوازم قيادة الانبياء الكرام، كانت باكمله في رسول الكريم. «واستقم كما أمرت»[2] هاتان الخصوصيتان – القيام والاستقامة – لعبتا دوراً مهماً في تحقيق الاهداف السامية للرسول الاكرم(ص).

هذه الاستقامة مع أنه صلى الله عليه وآله لم يكن يملك شيئاً وكانت سهام الاقوياء ضده بحيث لم يتمكن ان يعلن دعوته بمكة لكن لم ييأس من عدم التمكن لدعوة الناس علانية. كانت دعوته سرية ويدعو الناس فرداً فرداً الى ان هاجر الى المدينة وقد امر بان يدعو الناس بالقيام. «قُل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله»[3].

هنا الدعوة بالقيام، دعوة الجميع للقيام الجماعي، والشيء المهم هو القيام لله تعالى، ان سر انتصار جيش الاسلام في صدره الاول – مع أنه لم يكونوا يملكون أدوات حربية – هو القيام لله تعالى. النهضة لله جل وعلا والايمان بالله نصر الرسول الكريم. ولم ييأسوا وان الاستقامة في سبيل الله حققت النصر للنبي.[4]

استقام النبي الاكرم وصبر في مسيرة الرسالة من اجل هداية الناس لم يشاهد مثيلاً لهما. كما قيل فيه صلى الله عليه وآله:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصبر الناس على أوزار الناس.[5]

---

(١) سورة المدثر/ الآية ٢.

(٢) سورة هود/ الآية ١١١.

(٣) سورة سبا/ الآية ٤٦.

(٤) صحيفة الامام ج٧ ص ٢٤٥.

(٥) الطبقات الكبرى ج١ ص ٣٧٨.

لم يؤذ أحد مثل ما أوذي رسول الله في سبيل الله.[1] ولم يكن اصبر واثبتَ منه في خريق الحق.[2] وبتعبير الامام الراحل:

حينما بعث الرسول الاكرم بالرسالة وبدأ بالتبليغ آمن به صبي في الثامنة من عمره (علي امير المؤمنين) وامرأة في الاربعين من عمرها (خديجة بنت خويلد). لم يكن له غير هذين الشخصين. والكل يعلم مدى الأذى التي لقيها والمعارضة والعراقيل التي شهدها. لكنه لم ييأس ولم يقُل انا وحيد. بل قاوم وبقوة المعنوية والارادة القوية انهى رسالته من البداية الى ما وصلت اليه الآن.[3]

ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبد سوى الصبر والاستقامة امام صعوبات عصر مكة كالتهديد والأذى وتعذيب الصحابة والحصار الاقتصادي والسياسي وكذلك صعوبات عصر المدينة وهي العقبات والفتن والحروب المفروضة. وثبت كالجبل وهكذا مهّد الطريق لهداية الناس ونجاتهم ورفرفت راية الاسلام على ذرى التاريخ، كان ثابتاً في جميع الأدوار ولم يهون قيد أنملة. قال الامام الخميني في هذا المجال:

كان أولياء الله عليهم سلام الله يصبرون في جميع المصائب والمشاكل. المشاكل التي حدثت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند وصوله الى مكة وبعدها في المدينة والحصار الاقتصادي والهجوم العسكري، لم تحدث لنا كما حدث له.

الضغوط التي تحمّلها الرسول الاكرم في مكة ولجوئه الى غار في جبل وقد حاصره المشركون والمنافقون والجماعة الفاسدة حصاراً اقتصادياً بحيث لم يحصلوا على قوتهم اليومي الا بشق الأنفس. وبعد الهجرة الى المدينة هاجموه عسكرياً وهجم المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه بتلك الهجمات.[4]

---

(١) كنز العمّال، ج٣ ص ١٣٠ — ج١١ ص ٤٦١.
(٢) كنز العمال ج٣ ص ١٣٠.
(٣) ولاية الفقيه ص ١٢٤.
(٤) صحيفة الامام ج١٣ ص ٤٦٨.

مع كل هذه الاعمال لم يجزع النبي اي جزع ولم يتراجع من ميدان الجهاد لهداية البشرية وايصالهم الى الهدف المنشود. وببيان الامام الراحل:

مع تلك الضغوط والتهم والاساءة في مكة، وفي المدينة تلك الحروب المدمرة لكن النبي واصحابه الاوفياء ثبتوا كالجبل الراسخ وخدموا الاسلام والمسلمين.[1]

وفي النتيجة، بالصبر والاستقامة استطاع صلى الله عليه وآله ان يغيّر الناس ويحرّرهم من حميّة الجاهلية.

نقل بان جاء رجل يهودي الى النبي واعترض طريقه وادعى ان له ديناً عليه وقال له يجب عليك الآن ان تردّ لي طلبي في هذا الزقاق فقال له النبي: اولا أنت لم لا تطلبني شيئاً وثانياً امهلني حتى اذهب الى البيت وآتيك طلبك قال اليهودي: لا أدعك تخطو خطوة واحدة، النبي تجلّد بالصبر والرجل اخذ يجرّ عباءة النبي حتى ان عنق النبي احمرّ، وبما ان النبي كان متوجهاً الى اداء فريضة الصلاة الى المسجد وعندما ابطأ للناس، اخذوا يبحثون عنه فرأوه واليهودي قد أمسك بعباءته ويُهين النبي، فارادوا ضربه. قال النبي لهم: كلا، اتركوه وشانه، أنا أعلم كيف اتعامل مع صاحبي. ثم أخذ يُلاينهُ بالكلام الى حد ان اليهودي أسلم على يديه، فقال اليهودي: ان الانسان العادي لا يمكنه ان يصبر ويتحمل هكذا وانك لا شك نبي ومبعوث من قبل الله تعالى، وهذا الصبر، صبر الانبياء.[2]

ان صبر الانبياء المرسلين	في قبال الجاهلين المنكرين
حوّل الكافر للدين المبين	جاعلاً اياه لله أميـــــن[3]

في اشراقة صبر بصير واستقامة بلا نظير، مهّدت الطرق الصعاب وانتصر الاسلام. والأهم من الانتصار، المحافظة عليه ويحصل هذا بالاستقامة. وأشار الله

---

(١) صحيفة الامام ج١٩ ص ١٥٠.

(٢) السيرة النبوية ص ١٣٩ — الوفاء بأحوال المصطفى ج٢ ص ٤٢١ — ٤٢٧ — ٤٢٨ — تاريخ الذهبي ج١ ص ٤٥٦ — سيرة ابن كثير ج٢ ص ٦٠٨.

(٣) ترجمة مضمون بيت من ديوان «مثنوي معنوي»، الدفتر السادس، البيت ١٤١٠.

تعالى الى نبيه الكريم هذه الحقيقة حيث قال:

«فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير»[1].

نقل من ابن عباس أنه قال: لم تنزل آية على رسول الله أصعب وأثقل من هذه الآية، ولهذا حينما سأل الصحابة النبي لماذا شيّبت بهذه السرعة وبان الشيب فيك فاجاب: شيّبتني سورة هود والواقعة. قال الامام الراحل في هذا المجال:

حسب الروايات الواردة قال رسول الله عندما نزلت هذه الآية «فاستقم كما امرت ومن تاب معك»: «شيّبتني سورة هود»[2].

لانه يجب عليه وعلى المؤمنين ان يستقيموا.[3]

لماذا كانت هذه الآية ثقيلة وصعبة على الرسول الى هذا الحد؟ هل الأمر بالاستقامة سبّب هذا المشاق؟ في حين ان النبي اسوة الاستقامة؟

الاستقامة في خريق التبليغ والارشاد، في الجهاد والقتال، في العمل بالتكاليف الالهية في تطبيق احكام القرآن و... ان الاعوام الثلاثة والعشرين بعد البعثة لهي خير شاهد على الاستقامة، ثلاثة عشر عاماً في مكة وعشراً في المدينة.

ولذا فالقسم الثاني من الآية الكريمة التي تشير الى الأمر باستقامة المتجهين الى الله مع النبي، قد شيّبه.

سبق الخطاب من قبل في الاستقامة في «و استقم كما أمرت»[4] لكن القول هذه المرة كان في «ومن تاب معك» لأجل بقاء الانتصار، يجب على امة النبي الاستقامة وكان النبي قلقاً من اجل هذه الاستقامة. يكتب الامام الخميني في هذا الصدد:

قال الشيخ العارف الكامل «الشاه آبادي» روحي فداه: مع أن هذه الآية الشريفة جاءت ايضاً في سورة الشورى، غير انها خلت من هذه العبارة «ومن

---

(١) سورة هود/ الآية ١١٢.

(٢) علم اليقين، ج٢ ص ٩٧١.

(٣) صحيفة الامام ج١٨ ص ٤٣٦.

(٤) سورة الشورى/ الآية ١٥.

تـا ب مـعك»، وان سبب ذكر النبي سورة هود، هو ان الله تعالى أراد مـن الـنبي العظيم استقامة امته وكان صلى الله عليه وآله يخشى ان لا تنفّذ المهمـة. والا فانه صلى الله عليه وآله وسلم كـان مـستقيماً في نهجه، بل هـو كـان مظهـر الحكمُ العدل[1].

لّما نزلت هذه الآية على النبي قال(ص) لأمّته: شمّروا شمّروا[2]. اي الآن وقـت بـذل الجهد والعمـل ولا يكـون موقـع الـضعف والتكاسـل ولم يـر الـنبي بعـدها ضاحكاً.[3]

كان النبي قلقاً من اجل مستقبل الامة التي خيرهـا وصلاحها رهينـة الـصبر والاستقامة فالآن النبي قلقُ للامـة وان تمـضي الامـة في طريقـه وتتاسـى بـسيرته كي تصل الى الحرية والعزّة والسعادة. ارشاد الامام الراحل في هذا الموضوع:

قول النبي بان ابيضّت لحيتي لاجل هذا وشيّبتُ لاجله، فهو كـان مـستقيماً وسببه هو وجود «ومـن تـــا ب مـعـــك» بجانبـه يعـني ان الـنبي امِر بـان يستقيم معه أصحابه الذين آمنوا به واولئك انتم.[4]

«ربـنـا أفـرغ عـلـيـنـا صبراً وثـبّت أقـدامـنـا»[5].

---

(١) الاربعون حديثاً ص ١٧٢.

(٢) الدرر المنثور ج٣ ص ٣٥١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) صحيفة الامام، ج١٨، ص ٤٢٧.

(٥) سورة البقرة/ ٢٥١.

الفهرس